دراسات اريترية

النقوش الكتابية في جزيرة دهلك

بقلم

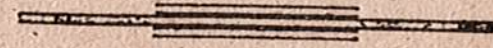
رينيه باسيه

النقوش الكتابية في جزيرة دهلك

النقوش الكتابية

في

جزيرة دهلك



بقلم

رينيه باسيه

استاذ في المعهد العالمي للآداب بالجزائر

١٩٨٤

دهلك في سطور

دهلك ارخبيل اريتري يضم أكثر من مئة جزيرة أهمها (دهلك كبير) و (نخرة) و (دحل) و (حارات كبير) و (دفنين) و (حرمل) . وتقع قبالة مصوع على بعد / ٦٠ / ميلا منها شرقا (عند تقاطع خط الطول ١٠ر٤٠ شرقا مع خط العرض ٤٥ر١٥ شمالا) . تضاريسها سهلية مع تلال منخفضة . طقسها حار جاف صيفا ، معتدل قليل الامطار صالح للسياحة شتاء . وقد اعدت احدى الشركات الايطالية مشروعا سياحيا كلفته /٦٠/ مليون دولارا الا انه لم ينفذ لانعدام الامن والاستقرار في اريتريا . عدد سكانها مع توابعها من الجزر نحو عشرة آلاف يشتغلون بصيد الاسماك واللآلىء . كلهم مسلمون يتحدثون العربية والتيجرية الخليطة بلهجات الدناكل والبجة والتجرينية وغيرها لاختلاط سكانها بمختلف اجناس المنطقة وتعرضها للغزوات . تعد من اغنى المناطق الاريترية بالاثار التاريخية من فارسية وعربية وتركية وبرتغالية وغيرها . يقع عدد من جزرها مثل دفنين وحرمل وسط المجرى الدولي للملاحة في البحر الاحمر وبها منارات لهداية السفن .

المقدمة

بقلم

عثمان صالح سبي

كتب هذا الكتاب مؤلف فرنسي اسمه رينيه باسي عام /١٨٩٣/ بعد ان لفت نظره نقش كتابي ضريحي يعود تاريخه لعام /١٥٤٠/ ، احضره من جزيرة (دهلك) أحد المبعوثين التجاريين الفرنسيين . ولا يزال محفوظا في متحف (بار له دوق) بباريس .

يتعرض المؤلف لتاريخ (دهلك) منذ اقدم العصور . الا انه لا يسجل عن ماضيها الا القليل ، بحذر وتشكك ، لنقص في المراجع والاكتشافات الاثرية حسب اعترافه . وهو يشير الى هذا النقص فيقول :

« بسطت دهلك في البلاد رخاء تشهد عليه انصاب تذكارية متنوعة، لا سيما النقوش المحفورة حفرا عميقا . والقسم الاكبر من هذه الاخيرة موجود ، بحسب أقوال (سالت) المؤرخ البريطاني الذي عاينها باهتمام ، حول جامع مرفأ جزيرة دهلك كبير ، المدينة الرئيسية في الارخبيل ؛ والباقي في جامعين متهدمين ، نوه عنهما الرحالة نفسه . لكن احدا حتى يومنا هذا لم يعن بتسجيلها ، وغالب الظن ان تنقيبا منهجيا من شأنه أن يقدم معلومات ثمينة ومفيدة عن جزيرة (دهلك) ، وأن اكتشاف نقوش كتابية جديدة سيمكن من اعادة تسلسل سلاطينها » .

والحقيقة ان تنقيبات وحفريات جرت بعد كتابة هذا الكتاب قد كشفت الكثير مما غمض من تاريخ هذه الجزيرة التي تعد أهم جزر البحر الاحمر ، وبخاصة الدراسات التي اجراها المؤرخ الايطالي (كونت روسيني) ، ولو ان هناك الكثير مما يتطلب البحث والتنقيب .

يضم ارخبيل دهلك أكثر من مئة جزيرة ، أهمها (دهلك كبير) حيث الآثار التاريخية ، لا يتجاوز عدد سكانها عشرة آلاف نسمة . ويمكن القول ان (دهلك) تعد مهد الحضارة لمنطقة شمالي شرقي افريقيا . فقد كانت ، بحكم موقعها الجغرافي القريب من البرين الافريقي والعربي على مقربة من طريق الملاحة الدولي في البحر الاحمر ، ملتقى للحضارات ومركزا للتجارة ، قصدها المصريون في عهد حتشبسوت في طريقهم الى بلاد البونت بحثا عن البخور واللبان والعاج . كما قصدها اليونانيون في عهد البطالسة في مصر . وذكرها مؤرخ « كشاف البحر الاريتري » (بزبلوس ارتريوس) في القرن الاول الميلادي باسم (اليوس) ، وأشار اليها المؤرخ اليوناني « ارتميدبس » باسم (اليا) .

وقد تشكل سكانها في الغالب الاعم من الهجرات اليمنية بحكم موقعها الجغرافي ، اذ لا تبعد عن الحديدة بالساحل اليمني سوى نحو خمسين كيلو مترا . واستقرت بها موجات المهاجرين الحميريين في عهد سبأ منذ أكثر من الفين وخمسمئة عام بعد انهيار سد مارب . ومنها انتقل المهاجرون الى البر الاريتري ثم الى الهضبة الاكسومية وشكلوا فيما بعد مملكة الحبشة كما يؤكد ذلك المؤرخ الايطالي كونت روسيني . اما في العصور الوسطى فقد ارتبطت سلطنتها باليمن ارتباطا وثيقا سنشرحه في الفقرات التالية. وعندما بسط الفرس في عهد خسرو سلطانهم على اليمن في القرن السادس الميلادي ، اثر طردهم الاحباش منها في سياق صراعهم مع الامبراطورية الرومانية ، مدوا سيطرتهم على دهلك والبر الاريتري وثغره المعروف (عدوليس) وبنوا بها الصهاريج التي لا تزال تستعمل لخزن مياه الامطار كما هو الحال في عدن .

وبعد ظهور الاسلام ارتبطت (دهلك) وتوابعها بالامبراطورية العربية . وقد اتخذها العرب في بداية الامر منفى للمغضوب عليهم من الشعراء والسياسيين منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب . ثم جرى احتلالها في عام /٨٤/ هـ من قبل الدولة الاموية اثر غارة القراصنة من عدوليس وارخبيل دهلك على ميناء جدة ، واقاموا بها القلاع واتخذوا منها مقرا لحماية طرق التجارة في البحر الاحمر . ومن ثم امتد النفوذ الاسلامي الى سائر الشاطىء الافريقي ليشكل ما اطلق عليه المؤرخون العرب اسم « الطراز الاسلامي » .

ونفى اليها الخليفة الاموي سليمان بن عبد الملك الشاعر الاحوص لتشبيبه بالنساء الشريفات . كما نفى اليها يزيد بن عبد الملك في عام / ٧٢١ / م أحد فقهاء المدينة اسمه عراق بن مالك . وهاجر اليها من كانوا يطلبون الامان لارواحهم من بني امية والعلويين بعد انتقال الحكم الى العباسيين . فنقلوا اليها الحضارة والعلم ، واصبحت دهلك مركز اشعاع لتعليم فقه اللغة والدين ، ووفد اليها طلاب العلم من مختلف انحاء منطقة شمالي شرقي افريقيا وحتى من اليمن .

واشتهرت الجزيرة بعد أن سيطر سلاطينها على اجزاء من البر الاريتري ، وبخاصة مصوع (باضع سابقا) وجزيرة الريح، كمركز لتجارة اللالىء والتروس المصنوعة من جلود السلاحف والاسماك المجففة والعبيد وريش النعام . ويصفها اليعقوبي في القرن التاسع الميلادي بانها احدى المراكز الرئيسية التي كان العرب يتعاطون فيها التجارة مع الحبشة .

وقد نشأ في نفوس السلاطين وأصحاب الجاه والثراء ، بحكم توافد العلماء والشعراء العرب اليها ، اهتمام بالنقوش الكتابية والخط الكوفي يزينون بها الاضرحة ومنابر المساجد ومداخل القصور . ومن هذه النقوش الكتابية نقش للسلطان حسين بن محمد بن منصور يعود تاريخه الى عام / ١٠٨٩/ م نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

« ان المتقين في جنات وعيون . ادخلوها بسلام آمنين . ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين . لا يمسهم فيها نصب وما هم عنها بمخرجين. نبيء عبادي اني انا الغفور الرحيم ». سورة الحجر الآيات /٤٥-٤٩/ .

تعرضت جزر دهلك وتوابعها ، بسبب موقعها الاستراتيجي في البحر الاحمر ، لاعتداءات من جيرانها الاقوياء . وخضعت لامراء زبيد باليمن منذ القرن التاسع الى القرن الثاني عشر الميلادي، وهي فترة تخللتها ثورات واضطرابات . فقد استقل السلطان ناصر الدين بدهلك ، بل أخضع زبيد نفسها لحكمه حتى طردته منها أسرة بني صليح في عام /١٠٦١/ م . فاستعان ابنه سعيد الاول بخمسة آلاف من أهل دهلك والحبشة وقتل حاكم زبيد على بني صليح . لكنه هزم مرة أخرى وعاد الى دهلك ، وظلت الغارات متبادلة بين الطرفين . ويذكر ابن حوقل ان دهلك كان لها سلطان يدفع الخراج لعاهل اليمن .

وفي ظل الحكم العربي اخذت دهلك اسمها الحالي ، الذي ينسبه البعض الى لفظة عربية (دار الهلاك) لكونها بقعة حارة جافة. ولهذا كان الحكام العرب يتخذونها منفى للمغضوب عنهم كما اتخذ الايطاليون فيما بعد (١٨٨٥ - ١٩٤١) م احدى جزرها (نخرة) سجنا لزعماء المقاومة الوطنية حيث مات معظمهم بالملاريا والاوبئة الاخرى . وفي هذا يشير الشاعر ابو الفتح نصر الله بن قلاقس اللخمي الاسكندراني (المرجع : ياقوت - معجم البلدان) عندما يقول عن دهلك :

واقبح بدهلك من بلدة
فكل امرىء حلها هالك

كفاك دليلا اذن انها
جحيم وخازنها مالك

وكان الشاعر قد وصل اليها من عدن بعد ان غرقت سفينتهم وبقي خالي الوفاض لا مال له ولا زاد فلم يكرمه حاكمها وكان اسمه مالك بن شداد . والبعض يعيد التسمية الى لغة البجة حيث تعني كلمة (دهل : جزيرة) . كما يعزوها البعض الآخر الى كلمتين : عربية وفارسية (ده - لاخ) .

وكان سلاطين دهلك يدارون ملوك الحبشة كما كانوا يدارون سلاطين مصر اتقاء الشرهم كما يقول ابو الفداء في (تقويم البلدان) . وقد أرسل احد سلاطينهم مبعوثا الى سلطان مصر عام / ١٣٩٢ / بهدية مؤلفة من عدة افيال وزرافة وعبيد من الجنسين واشياء نفسية كاللآلىء . ويمكن ان نفهم مقاصد هذا السلطان الذي يطلق عليه الامام المقريزي في كتابه (الالمام بمن في الحبشة من ملوك الاسلام) لقب « ملك دهلك » اذا عرفنا ان هذه الفترة هي الفترة التي شن فيها ملوك الحبشة غاراتهم على بلاد الطراز الاسلامي بدءا من (يكونو املاك) ومرورا ب (اسحاق) و (زرايعقوب) وانتهاء بحرب الامام احمد الغازي (جران) و (لبنا دنقل) والواسعة النطاق والتي اشترك فيها الاتراك والبرتغاليون . ويذكر أن زرايعقوب اكتسح مناطق الشاطىء الاريتري في منتصف القرن الخامس عشر وهي المناطق التي كانت خاضعة لسلطان دهلك . ولم يمنعه من العبور الى الجزيرة سوى الحاجز المائي وعاد الى بلاده بالغنائم التي نهبها من قبائل الساهو والبجة والسمهر والدناكل التي كانت تدفع الخراج لسلطان دهلك باعتباره ممثلا للخلافة الاسلامية .

وتعرضت دهلك الى تدمير وحشي من قبل الاسطول البرتغالي الذي وصل اليها في عام /١٥١٣/ عندما كان يحكمها السلطان احمد بن اسماعيل الذي وجد في قبره النقش الكتابي المحفوظ في متحف (بار له دوق) في باريس ، وهو موضوع هذا الكتاب ، ونصه كالتالي :

بسم الله الرحمن الرحيم

« ان المتقين في جنات ونهر ، في مقعد صدق عند مليك مقتدر صدق الله العظيم . هذا قبر العبد الفقير الى الله تعالى السلطان احمد ابن السلطان اسماعيل المجاهد المرابط بسلطان الاسلام بثغر دهلك المحروس انتقل الى رحمة الله تعالى ليلة الجمعة السادس عشر من شوال سنة ست وأربعين وتسعمائة من الهجرة النبوية . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم » .

وتذكر الوثائق البرتغالية، كما جاء في كتاب رسالة البوكيرك / ٤ - ١٢ - ١٥١٣/ ، ان سلطان دهلك اكرم وفادة البرتغاليين في بداية الامر كضيوف : (في اليوم التالي عادوا الينا مع الهدايا من الحليب واللحم والعسل وابلغونا رغبة الملك في التحدث الى (الكابيتانو) فيما سلموا السفير رسالة اليه يعرب فيها الملك عن سروره بمجيئه . وبعد ثلاثة ايام وصل الملك وكان يحرسه/٥٠٠/ جندي مسلحين بالنبال والاقواس والتروس وبعض السيوف الشبيهة بسيوفنا . وأولو الشأن منهم كانوا يمتطون الجمال والخيول العربية السريعة . وكان معهم عازفون على آلات موسيقية يعزفون عليها حسب الاعراف المحلية . وكان الملك يرتدي ، وفقا للطريقة العربية ، سترة حريرية مطرزة بالذهب : شاب في الخامسة والعشرين ، اسمر غامق اللون ، أسود الشعر ، شأن سائر مسلمي بلاد العرب السعيدة الممتدة حتى مكة) .

وهذا الوصف انما يدل على علو شأن دهلك بالمقارنة مع حجمها وطاقتها البشرية المحدودة . الا انها ، كما يجمع المؤرخون، كانت ذات ثراء عظيم مصدره اللآلىء وموقعها التجاري الممتاز .

لم يستسلم اهالي دهلك للغزو البرتغالي بل انهم اعترضوا سبيله منذ البداية . فعندما ادرك السلطان احمد بن اسماعيل مقاصدهم الاستعمارية اوصد ابواب بلاده في وجوههم قائلا (ليس

في هذه الارض تجار ، بل انهم جميعا محاربون) . وعندما حاولت المجموعة الاستطلاعية بقيادة لورنسودي كوسمه النزول الى الجزيرة ابادوها في كمين . واثارت هذه الواقعة حنق البرتغاليين ورغبتهم في الانتقام ، فانطلق الاسطول البرتغالي من جوا بالهند عام /١٥٢٠/ بقيادة دييغو لويس دي اسكوبيرا . ففر سكان الجزيرة الى بر مصوع ، وحول الاب الفارز جامع مصوع الى كنيسة اطلق عليها (شافعة مريم العذراء) .

وعن هذه الحملة يقول داميا دي غوريش في كتابه (تاريخ الملك دوم عمانويل) : (ان ثمة مدينة واحدة نبيلة المظهر تحت اسم الجزيره نفسه ، وبعض الضيع لها مظهر القرى ، وكلها كانت فارغة من سكانها لانها تجمعت بحرية يستطيع رجالنا الوصول اليها . وكان السكان قد حملوا معهم كل شيء تخوفا من هذه الحملة ، فلم نجد سوى بعض القطعان التي كانوا قد ذبحوها ، بما فيها الجمال التي يحب لحمها البعض . وبعد ان حكم دييغو لويس بأنه ليس هناك شيء يفعله في هذه النواحي امر ، تدليلا على ما كان سيفعله بالسكان فيما لو وجدهم ، بهدم بعض البيوت التي تستحق الذكر ، المبنية بالحجر والكلس ، وبعد ذلك امر بحرق المدينة) .

ويذكر البرتغاليون ان السلطان احمد بن اسماعيل تصالح معهم وخضع لنفوذهم حتى وفاته في عام /١٥٤٠/ . غير ان عرب فقيه الجيزاني في كتابه (فتوح الحبشة) يشير الى ان السلطان احمد قد تولى حاكما على دهلك وحرقيقو من قبل الامام احمد بن ابراهيم ، فاتح الحبشة الذي قتل بايدي البرتغاليين عام /١٥٤٣/ بعد ان انجدوا ملك الحبشة ضد الغزو الاسلامي الذي دام نحو عشرين عاما .

وخاض الاتراك العثمانيون صراعاً مريراً ضد البرتغاليين للفوز بالنفوذ في حوض البحر الاحمر انتهى بغلبة الاتراك بعد هزيمة الاسطول البرتغالي الذي كان يقوده دون جوان دي كاسترو على أيدي الاسطول التركي بقيادة سنان باشا في موقع بالبحر الاحمر بين سواكن ومصوع . واحتل الاتراك مصوع في /١٥٥٧/ وبسطوا نفوذهم على الشواطىء والجزر المجاورة . وبذلك انتهى استقلال دهلك كما تقلصت اهميتها التجارية نتيجة الخراب الذي اصابها من جراء الاعتداءات البرتغالية وهجرة السكان عنها .

ومع ذلك فلا تزال دهلك بموقعها الجغرافي الاستراتيجي الهام في قلب البحر الاحمر تمثل موقعا للاطماع الدولية . وهذه الاطماع هي التي دفعت الولايات المتحدة الامريكية الى فرض الاتحاد الفدرالي على اريتريا مع اثيوبيا عن طريق الامم المتحدة عام /١٩٥٠/ تحقيقا لمطامع اثيوبيا في البحر الاحمر وهي الدولة المرتبطة معها بارتباطات عسكرية واقتصادية وسياسية متينة لم تتغير حتى بعد زوال هيلا سيلاسي ورفع النظام الجديد للشعارات الاشتراكية التحررية . ونتيجة للاحتلال الاثيوبي استفادت اسرائيل من موقع دهلك فاقامت هناك مرسى لاسطول صيدها ومطارا يمكنها استعماله لغايات عسكرية ، عند الضرورة ، في صراعها مع العرب .

وهكذا يعيد التاريخ نفسه ـ صراع من اجل السيطرة والتسلط من قبل الدول الكبرى منذ عهد الفرس والرومان فالاتراك والبرتغاليين فالطليان والانكليز والامريكان واتباعهم من الاثيوبيين والاسرائيليين يدفع ثمنه سكان المنطقة المسالمون غاليا .

ان سكان دهلك ، وهم جزء لا يتجزأ من شعب اريتريا ، يتطلعون اليوم الى شمس الحرية كغيرهم من ابناء هذا القطر المناضل الذين يخوضون حرب تحرير شعبية مريرة تحت قيادة جبهة التحرير الاريترية ضد الاحتلال الاثيوبي منذ خمسة عشرة عاما ومن اجل الاستقلال الوطني الكامل مقدمين ستين الف شهيد و /٢٥٠/ الف لاجىء وخسائر مادية لا تحصى ، يحدوهم امل عميق بالنصر النهائي على الظلم والعدوان .

ان البعثة الخارجية لجبهة التحرير الاريترية (قوات التحرير الشعبية) اذ تقدم هذا الكتاب في سلسلة الكتب المترجمة ، وهو الكتاب الثالث عن اريتريا ، بأقلام كتاب أجانب ، تتوخى الفائدة للمكتبة العربية التي تعاني نقصا حادا فيما ينور القارىء العربي من تاريخ هذا القطر وخلفية كفاحه من اجل الاستقلال . ونسأل الله التوفيق .

دمشق في / ١-١١-١٩٧٦ /

عثمان صالح سبي

النقوش الكتابية في جزيرة دهلك

- ١ -

يملك متحف « بار ــ له ــ دوق » نقشـــا كتابيا ضريحيا يثبت أن للحجـــارة مصائـــرهـــا كـــالكتب ، هـــو نقش ضريح أحد سلاطين دهلك ، توفي في القرن السادس عشر من عصرنا. وقد استطاعت شاهدة ضريح عاهل جزيرة صغيرة في البحر الاحمر أن تجـــد موضعا في متحف مركز محافظـــة الـ « موز » في أعقاب الظروف التالية :

فان جوالا انتدبته مؤسسه تجارية . قبل عشرين عاما ونيف، لدرس اسواق الجزيرة العربية وافريقيا الشرقية ، نقل بين تحف اخرى ، ثلاثة نقوش عثر عليها في دهلك ، في عدادها النقش الكتابي موضوع الكلام هنا . ومن سوء الحظ ، مات الجوّال عند عودته الى باريس ، فاهمل الحجر ، لا بل استخدم لتسنيد العربات، الى أن لمحه

عالم آثار لامع ، هو ماكس ورلي ، المعروف بابحاثه في تاريخ المنطقة الشمالية — الشرقية وآثارها ، وادرك ، دون ان يكون مستشرقا ، ان النقش الكتابي العربي يستحق الرعاية . فحصل ، بدون صعوبة على هذا الحجر ، واهداه الى متحف « بار — له — دوق » حيث ما يزال موجودا . والنص منقوش في صخر اسود صلب للغاية . وهو بارتفاع / ٣٨ / سنتيمترا ، وعرض / ٢١ / سنتيمترا ، وارتفاع السطر نحو / ٣ / سنتيمترات . والخط يقترب كثيرا من النسخي ، والنقاط والحركات ترافق الحروف . وهذا هو النص المستنسخ :

بسم الله الرحمن الرحيم

ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر(١)
صدق الله العظيم(٢) هذا قبر العبد الفقير الى الله تعالى السلطان
احمد ابن السلطان اسماعيل المجاهد المرابط(٣) بسلطان الاسلام
بثغر دهلك المحروس انتقل الى رحمة الله تعالى ليلة الجمعة سادس

---

(١) — القرآن الكريم ، سورة القمر ، الآيتان ٥٤ — ٥٥ .

(٢) — اعتقد اني اقرأ كلمة « العالم » في نهاية السطر الثالث الذي محي بنسبة كبيرة : بيد انه ما يزال ممكنا تمييز عكفة الـ « م » فوق الـ « ع » والى يمينهــــا .

(٣) — هذا التعبير شائع في لغة ذلك الزمان : فان كتاب « فتوح الحبشة » مخطوطة رقم /١٧٣٢/ — مكتبة متحف الجزائر ، ص /١٦/ يقول في مجال حديثه عن زعيم مسلم : « وكوشيم ابو بكر ، وكان صالحا زاهدا عابدا مجاهدا مرابطا استشهد بدواروا كما سياتي ذكره » .

عشر شوال سنة ست واربعين وتسع مايــة من الهجرة النبويــة وصلى الله على سيدنا (٤) محمد وآله وسلم .

فان السنة /٩٤٦/ (هجرية) بدأت في — ١٩ — أيار (مايو) —١٥٣٩— ملادية ، وانتهت في /٧/ أيار (مايو) /١٥٤٠/ ، ويوم / ١٦ / شوال يقع في يوم / ٢٤ / شباط (فبراير) / ١٥٤٠ / (٥) . وفي سنة / ١٨٧٦ / ، جرى اطلاع السيد سوفير ، المترجم الملحق في قنصلية القاهرة وقتئذ ، على هذا النقش الكتابي ، فقام بترجمته. ولسوء الحظ كانت الترجمة شبه ضائعة ، اذ نشرت بدون النص وبدون صور طبق الاصل ، في حاشية محاضر (ابحاث جمعية الآداب والعلوم والفنون ، في « بار — لــه — دوق » (٦) . وليس هناك الا فوارق بسيطة بين ترجمتي وترجمة زميلي العالم ، باستثناء نقطة مهمــة ، هي : تحديد السنة الهجريــة بالنسبة الى التقويم الميلادي . فان السيد سوفير يجعلها تتوافق مع سنة / ١٥٤١ / . فلو كان هذا التوافق صحيحا لفتح باب التساؤل عما اذا كان السلطان احمد قد هلك ابان الحملة البرتغالية على دهلك سنة / ١٥٤١ / ،

---

(٤) — بلا شك — بسبب خطأ من النقش يظهر الحجر كلمة « سيدما » بدلا من « سيدنا » والضمير عائد الى الهجرة ومن « فتوح الحبشة » ، ص / ٦٤ / صيغة مماثلـــة .

(٥) — راجع ووستنفلد :
« Verglesichungs der Mupannedanischen und christlichen zeitreaherung »
لا يبزغ ، / ١٨٥٤ / ص ٣٨ — ٣٩ . لكن /٢٥/ شباط (فبراير) بحسب حسابات ووستنفلد ، يقع يوم ثلاثاء لا يوم جمعة .

(٦) — الجزء السادس « بار — له — دوق » ، / ١٨٧٦ / محاضرة ، ص /٢/ الحاشية رقم (١) .

او حتى في معركة السلف (Salf) التي شنها ، في السنة نفسها ، مسلمو الملك العادل DE L'ADEL وحلفاؤهم على مسيحيي أثيوبيا(٧) .

بيد أن التوافق المسلم به عالميا ، لا يسمح ، من جهة ، بمطابقة سنة /٩٤٦/ (هـ) مع سنة /١٥٤١/ (م) . ومن جهة أخرى ، فان الافتراض أن خطأ صدر عن العامل ، الذي نقش /٩٤٦/ بدلا من /٩٤٧/ ، يحتم الملاحظة بأن النقش الكتابي الضريحي لا يشتمل على لفظه « استشهد » التي كان ينبغي استعمالها ، لو أن الامير خرّ صريعا في الجهاد ضد البرتغاليين أو ضد الاثيوبيين . وفضلا عن ذلك ، فان مؤرخي حملة / ١٥٤١ / ، التي قادها استيفام ده غاما ، لا يذكرون في موضع من المواضع ان شيخ دهلك قد قتل . ولم نتمكن من مراجعة الجزء الثاني من « فتوح الحبشة » ، الذي ينبغي ان يكون قد تحدث مليا عن القواد الذين سقطوا في معركة (السلف) والتاريخ الاخباري الحبشي يلتزم الصمت حيال هذا الموضوع . ومن ثم ، فان التصحيح يبدو بلا جدوى : فان أحمد قد توفي سنة /٩٤٦/ (هـ) أي سنة /١٥٤٠/ (م) قبل عام من الحملة البرتغالية .

وجزيرة دهلك ، التي تشكل جزءا من ارخبيل يحمل هذا الاسم شرقي مصوع ، هي أحد الامكنة الاكثر قحطا والاكثر امتناعا في البحر الاحمر حيث توفر المياه العذبة خزانات حفرها الفرس في الصخر ، بحسب تقاليدهم ، تملؤها امطار كانون الاول (ديسمبر) وكانون الثاني (يناير) وشباط (فبراير) .

(٧) — راجع ابحاثي في تاريخ اثيوبيا — باريس / ١٨٨٢ / الصفحان /١٤/ و/١١٥/ .

ولا ينبت في الجزيرة سوى بضع شجرات من الطلح (الاكاسيا) ، ومجموعة حيواناتها قليلة الوفرة ، وسكانها البائسون لا يتعيشون الا من صيد سمكهم ومن بعض قطعان الجمال والماعز(٨) . وتجارة اللؤلؤ وتروس السلاحف التي تدنت كثيرا اليوم ، كانت مزدهرة في الماضي في الجزيرة (٩) . وقد بسطت في البلاد رخاء تشهد عليه انصاب تذكارية متنوعة لاسيما النقوش الكتابية المحفورة حفرا عميقا في الحجر . والقسم الاكبر من هذه الاخيرة موجود — بحسب اقوال «سالت» الذي عاينها باهتمام(١٠) ، حول جامع مرفأ دهلك

(٨) — بشأن دهلك راجع (بروس): « رحلات الى منابع النيل » ، باريس /١٧٩٠ /، الجزء الاول ص /٣٩٩/و /٤٠٠/ و /٤٠١ / و (فالنسيا) :

« رحلات وأسفار الى الهند وسيلان والبحر الاحمر والحبشة ومصر » ، لندن /١٨١١/، (٣ أجزاء واطلس) ، الجزء الثاني ص / ٢٤ — ٢٩/ ،و (روبل): « رحلة دراسية الى الحبشة » ، فرانكفورت — على — الماين ، /١٨٣٨/ ، (جزءان) ، الجزء الاول ، الفصل التاسع ، ص /٢٤٣ — ٢٤٨/ ، و (ب. لونيفر): « رحلة الى الحبشة » ، باريس ، الجزء الاول ، الفصل الاول ، ص /٣٢ و ٣٣/ ، و (فون هو يفلن) : « رحلة الى الحبشة وبلاد الفالا وشرقي السودان والخرطوم ، أيينا ، /١٨٦٨/ ، الفصل الثاني ص /٦٥ — ٧٢/ ، و(رافراي) «الحبشة » ، باريس /١٨٧٦/، ص)٣٨٣و٣٨٤/ و (ا . ايل) : رحلة الى البحر الاحمر وبين البوغوص Bogos ، ميلانو الطبعة الرابعة ، /١٨٨٥/ ، الفصل الخامس ، ص /٨٤ — ١٠٧ / .

(٩) — راجع (كومب وتاميزبيه) :« رحلة الى الحبشة » ، باريس /١٨٤٣/، أربعة أجزاء ، الجــزء الاول ، الفصل الثاني ، ص /٤٨١/ ، و (ج ولويو) : « حكاية ، رحلة الى الحبشة » ، باريس ، /١٧٢٨/ ص /٤٠ — ٤١ / ، وسائر الكتاب البرتغاليين والايطاليين المستشهد بهم في الفصل الثالث .

(١٠) — راجع فالنسيا : « أسفار » ، الجزء الثاني ص /٣٧/ .

الكبير ، المدينة الرئيسية في الارخبيل . وثمة نقوش أخرى في جامعين متهدمين ، نوه عنها الرحالة نفسه ، لكن احدا ، حتى يومنا، لم يعن بتسجيلها(١١) . وغالب الظن ان تنقيبا منهجيا من شأنه ان يقدم معلومات ثمينة ومفيدة عن جزيرة دهلك . وان اكتشاف نقوش كتابية جديدة سيمكن من اعادة تكوين تسلسل سلاطينها . وعدد النقوش التي نحيط بها علما ، حتى الآن ، محدود جدا : نقشان كتابيان جلبا الى انكلترا ونشرا بصورة سيئة على كل حال ، في اطلس رحلة فالنسيا(١٢) : النقش الاول استنسخه بصورة أدق ، « هوتن » الذي جعل منه مادة بحث قصير (١٣) . واعطى روبل(١٤) ترجمة تقريبية لنقش كتابي ترك نصه جانبا . وسيكون، شأن النقوش الاولى ، موضوع بحث فيما بعد . واخيرا يبرز النقش الضريحي ، الذي ندين بحفظه لماكس ورلي ، وهو من حيث المعطيات التاريخية التي ينطوي عليها ، اهم النقوش جميعا(١٥) .

---

(١١) ـ كمثال على الانصاب التذكارية في دهلك ، نش السيد ـ (ده هو يغلن) رسم قبة استخدمت كمدفن . وقد تكون قبة ضريح أحد الابرار المسلمين (أبو الهيمن) الذي تحدث عنه سالت .

(١٢) اللوحتان ٣١ و ٣٢

(١٣) ـ عرض لنقش حجري قديم وجد في مرفأ دهلك الكبير . لندن / ١٨٣٠ / .

(١٤) ـ « رحلة دراسية » الجزء الاول ص / ٢٤٨ ـ ٢٤٩ / .

(١٥) ـ ان حاشية محاضر « ابحاث جمعية الآداب » في « بار ـ له ـ دوق » تنطوي أيضا على الترجمات التالية العائدة للسيد سوفنير ، نقلا عن صور نقشية طباعية للكتابات لم يشر الى مصدرها ، وربما جاءت من دهلك .

باسم الله الرحمن الرحيم

كل نفس ذائقة الموت ، ثم الينا ترجعون . (سورة العنكبوت ، الآية ٥٧) ، وضريح حسين بن محمد بن منصور ، الذي اعتقه علي بن أحمد ، توفي في جمادى الثاني من السنة واحد وثمانين وأربعماية (٤٨١ = ١٠٨٩ ـ ١٠٩٠) ليرحمه الله .

ان سنة ـ ٤٨١ ـ (هـ) تتوافق ، بحسب أقوال ووستنفلد، مع / ١٠٨٨ ـ ١٠٨٩ / م وليس مع / ١٠٨٩ ـ ١٠٩٠ / م .

بسم الله الرحمن الرحيم

ان المتقين في جنت وعيون ادخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين نبىء عبادي اني أنا الغفور الرحيم .

هذا هو ضريح الفقير الى الله تبارك وتعالى ، نصر بن عبد الله ، الذي اعتقه ابو الربيع ، ابن علي الكاتب ، ليل (السبت ـ الاحد) اليوم التاسع من شهر محرن (اقرا : محرم) سنة خمسماية واربع (١١١١ ـ ١١١٢) ليرحمه الله . وبحسب ووستنفلد فان التاسع من محرم / ٥٠٤ / يقع في /٢٨/ تموز (يوليو) /١١١٠/ .

وبالمعلومات المتعددة الوجوه، حاولت اعادة كتابة تاريخ دهلك منذ الازمنة الكلاسيكية حتى عهد النقش الكتابي (الموجود) في « بار ـ له ـ دوق » : والوثائق بالنسبة الى الحقبة العربية نادرة . وحتى بالنسبة الى الحقبة التي تبدأ من القرن السادس عشر ، فان المعطيات التي أبرزها الكتاب البرتغاليون والايطاليون ، وهم الوحيدون الذين تسنى لنا الرجوع اليهم ، وجيزة جدا . وكنت آمل أن أجد ارشادات جديدة الى المصادر ، ان لم يكن الى الوقائع ، في « الدليل التاريخي لرحلات البرتغاليين واسفارهم واكتشافاتهم وفتوحاتهم في بلاد ما وراء البحار » (١٦) وفي

---

(١٦) ـ ليشبونية ، المطبعة الوطنية /١٨٤١/ .

« البرتغاليون في الشرق » لـ « سانوغيرا بنتو بالسيمو » (١٧) ، وفي « البرتغاليون في الهند » (١٨) لـ « بولها وباتو » ، لكن أملي خاب ، مثلما خاب في ما يتعلق بـ « تاريخ اكتشافات البرتغاليين » وفتوحاتهم » بقلم الاب لافيتو (١٩) . أما الكتاب البرتغاليون فان تعدادهم وارد في الفصل الثالث . ومع ذلك ، احرص على أن اقر هنا ، للمرة الاخيرة ، بما أنا مدين به ، بالنسبة الى تاريخ تسلسل الرحلات ، للبحث الممتاز الذي وضعه زميلي وصديقي (م.ف.م. استيفس بيريرا) في : « البرتغاليون في مصوع » (٢٠) .

— ٢ —

لا وجود لاسم دهلك في دليل أسماء العلم في الجغرافيا القديمة ، لكن بكثير من الترجيح ، مثلت هذه الجزيرة بمرفأ « اليا » الذي اتى ارتميدروس (٢١) على ذكره . وكتاب « رحلة حول البحر الاريتري » ، يطلق هذا الاسم على عدة جزر(٢٢) ، تحقق انها

---

(١٧) — نوفاغووا ، المطبعة الوطنية (٣ أجزاء) /١٨٨١/ .

(١٨) — ليشبونية /١٨٨٣/ .

(١٩) — باريس /١٧٣٤/ (٤ اجزاء) .

(٢٠) — « ريفيستا داس سيانسياس ميليتاريس سيانسيا ميليتاريس (مجلة العلوم العسكرية) .

الجزء التاسع ، الرقمان ٤٩ و ٥٠ ، تموز (يوليو) وآب (أغسطس) ١٨٨٩ .

(٢١) — سترابون : « جيوغرافيكا » .منشورات مانيكه ، لايبزغ ، (٣أجزاء) /١٨٧٦/ ، الفصل الرابع .

(٢٢) — « جيوغرانشي غريشي مينورس »،منشورات موللر ، باريس ، /١٨٥٥/ الجزء الاول ص (٢٦٠–٢٦١) والحواشي .

ارخبيل دهلك(٢٣) . وهي أيضا الجزيرة ، التي يطلق عليها « بلينس الاكبر » اسم « اليوس » (٢٤) .

وتاريخ دهلك في العصر القديم ، ان افترض انه كان ثمة تاريخ لها ، غير معروف بالنسبة الينا . ويبدو أن « ايسل » يعدها بين جزر البحر الاحمر ، التي استقر فيها الفرس سنة / ٥٩٠ / من العصر المسيحي . والموضوع ، طبعا ، هو موضوع الحملة التي ارسلها « خسرو » الى اليمن للقضاء على السيطرة الحبشية .

وان كان من المحتمل أن يكون الفرس قد فرضوا سلطتهم على جزر البحر الاحمر ، فلا شيء يؤكد ذلك بوضوح ، نظرا الى أن « ايسل » لا يذكر اي مصدر . وبعض الصهاريج (الآبار) التي يقصد بها تلافي نقصان الينابيع ، هو في نظر سكان دهلك الحاليين، بناء فارسي ، مثلما هي آبار عدن . لكن هذا الامر ليس الا واحدة من الروايات التقليدية المحلية ، ما يدرك اية قيمة لها ، عندما تنسب هذه الرواية التقليدية نفسها الى الفرس النقوش الكتابية الكوفية على أضرحة الجزيرة(٢٥) ، فيما يجعل آخرون عهدها يرتقي الى القرون الاولى من الاسلام(٢٦) .

---

(٢٣) — ماك كريندل : « تجارة وملاحة البحر الاريتري » بومباي /١٨٧٩/ ، ص (٤٨ — ٤٩) والحواشي .

(٢٤) — « التاريخ الطبيعي » ، منشورات « ليتره » باريس / ١٨٦٥ / (جزاءن)، الجزء الاول ص /٢٦٧/ ، وفيفيان دون سان مارتان : « شمالي افريقيا في العصر القديم » باريس ، /١٨٦٣/ ص /٩٧/ و ٣١٨ / .

(٢٥) — روبل : « رحلة دراسية الى الحبشة » الجزء الاول ص /٢٤٠ / .

(٢٦) — ايسل « رحلة » ص /٩٠/ .

اما لفظة دهلك ، التي هي على الارجح ، ذات منشأ بلدي ، فلم يعط لها مطلقاً اي تفسير مقنع ، حتى الآن . وياقوت الحموي يقول بعد تهجيتها (٢٧) انها لفظة اعجمية معربة ، وانها تلفظ ايضاً « دهيك » . ولا يعطي الجواليقي تفسيراً افضل (٢٨) . والمعاصرون كانوا اقل ارتباكا : فالدكتور خوالو ده كاسترو يدعي في روايته عن رحلة استيفام ده غاما ، ان هذا اللفظ صادر عن العربية ويعني « ده لاخ » فخلط على هذا الوجه بين الفارسية والعربية(٢٩) .

ويقدم بروس تفسيرا اقرب من المعقول ، وهو : « لابد من الملاحظة ان اسم العديد من الجزر يبدأ بـ «دهل» أو «دل» التي ليست سوى اختصار لـ « دهل » . والحال ، فان هاتين اللفظتين تعنيان « جزيرة » في لغة « البجة » المعروفة بـ « الجئز » الجعزية أو لغة الرعاة ؟ (٣٠) . وهذه الجملة الاخيرة تنطوي على الخطاء ، عددها بعدد كلماتها : فـ «البجة ليست الجئز» ، ولااحد يدري من هم الرعيان الذين عناهم ، ان لم يكن الهيكسوس ، الذين ليس ثمة شيء مشترك بينهم وبين « الجئز والبجة » .

(٢٧) ـ معجم البلدان نشر « ووستنفيلد » ، الجزء الثلث ، لايبزغ /١٨٦٧/، ص /٦٣٤/ : ، « دهلك بفتح أوله وسكون ثانية ولام مفتوحة وآخره كاف » . (يلاحظ أن المعاصرين يكتبون دهلك بالقاف أي « دهلق » ـ المترجم) .

(٢٨) ـ « المعرب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم » منشورات ساخاو ، لايبزغ ١٨٦٧ .

(٢٩) ـ منشورات كارفالهو ، باريس ، ١٨٣٣ ، ص ٥٥ .
كتاب Roteiro de Dom Joam de Castro

(٣٠) ـ « رحلات الى منابع النيل » باريس /١٧٩٠/ خمسة أجزاء واطلس الجزء الاول ص /٣٩٩/ .

ففي هذه الجزيرة ، تستخدم احدى اللهجات الاقل صفاء من الـ (تيجري) (لغة سامية محلية في الحبشة: المترجم) أو الهاسا(٣١) التي يتكلمها ايضا الـ «سمهر» والـ «حباب» ، و «المنسع» واهالي الجمجان (والبيت جوكي) و (الماريا) ، وبنو عامر والـ « القدين » والسبدرات و (الحلنقا) (٣٢) غير ان المعاجم التي نشرت لهذه اللغة، لا تعرض كلمة تقترب من المعنى الذي اشار ، اليه بروس(٣٣).

وادعى « ليترون » (٣٤) انه يجب اشتقاق هذا الاسم من اسم الديابني Diabeni ، وهم السكان الذين اتى فيلوستورج على ذكرهم : فهذا الاشتقاق هو ايضا ضعيف الجواز ، شأن الاشتقاق الذي تبناه ابناء البلاد ، الذين ولدوا لفظة « دهلك » من لفظتين عربيتين «دار الهلاك» (٣٥) . وفيفيان ده سان ـ مارتان(٣٦) اعتقد

(٣١) ـ بحسب سمعية تقليدية ترتكز على أساس الرواية التقطها (ف.ل.جيمس)، لكن لاشيء يؤكدها ، فان الهدندوة الدين يتكلمون واحدة من اللهجات الاربع (البشارية و البدوية) قديكونون جاءوا من جزيرة دهلك (قبائل السودان المتوحشة) لندن ١٨٨٣ الفصل / ٢٥ ، ص ٢٢٣ / .

(٣٢) ـ مونتيزينغر (معجم اللغة التيجري) لايبزغ /١٨٦٥/ (و فون هوبغلن) : « رحلة دراسية الى الحبشة » أيينا /١٨٦٨/ ، الفصل الثاني ، ص /٧٠ ـ ٧١/، وفون بريرمان (معجم اللغة التيجري) ـ لندن /١٨٦٨/ ، ص /٦٠٧/ و (إيسل) « رحلة الى البحر الاحمر » ـ الفصل الخامس ص /٨٩/، والعبادي « جغرافية أثيوبيا » ـ باريس /١٨٩٠/.

(٣٣) ـ من باب المقابلة ، لكن بدون استخلاص اية نتائج مهمة ، الفت النظر الى ان لفظة ـ دهل في العفر تعني عجلا صغيرا ـ راينيش : لغة العفر الجزء الثاني ، فيينا ـ ١٨٨٧ ـ ص ـ ٤٥ .

(٣٤) ـ « صحيفة العلماء » ـ سنة /١٨٣٤/ص٥٥٤/ .

(٣٥) ـ رويل « رحلة دراسية الى الحبشة » ـ الجزء الاول الفصل /٩/ ص /٢٥٧/ .

(٣٦) ـ « معجم طغرافي » باريس ، الجزء الثاني ، ص /٤/ ، لفظة دهلك.

بانه يستبين في هذا الاشتقاق تحريفا للفظة «زالغ» ، وهو كما يقول « الاسم ، كان أكثر المؤلفين العرب يعنون به دهلك » . والخطأ واضح وسنرى فيما بعد ان المؤلفين العرب من شعراء وجغرافيين ومؤرخين قد استعملوا جميعهم لفظة «دهلك» . وبشأن «زالغ» التي نصادفها عند الادريسي(٣٧) ، فان ما يذكره عنها هذا الجغرافي يبين تماما انه يضع «زيلع» نصب عينيه ، ولايمكن ان ينطبق كلامه ، في حال من الاحوال ، على جزيرة ، اذ يضيف ان المسافة بين زالغ والمنكوبة هي مسيرة خمسة ايام على اليابسة واقل في البحر .

ومهما كان أصل الكلمة ، فاننا نجد أن هذه الجزيرة قد سميت باسم دهلك منذ القرون الوسطى ، وفي الازمنـــة الحديثة . وتقبلت الاسلام على الارجح عندما بلغ ساحل الدناكل والصومال . ومايمكن استخلاصه من المعلومات القليلة ، التي اعطاها العرب ، ان الجزيرة كانت ملكا لامبراطورية الخلفاء ، وانفصلت عنهـــا حين غدت اليمن مستقلة . وهي نفسها كان لها رئيس خاص بها ، يدفع الجزية ، تارة الى سلطان زبيد وطورا الى ملك اثيوبيا ، خصوصا بدءا من الاونة التي استقر فيها امير دهلك في مصوع .

ونجد ان الجزيرة قد اتى على ذكرها للمرة الاولى كمركز للنفي ، وهذا ما كتب لها ان تكون غالبا فيما بعد(٣٨) في عهد الخليفة الاموي

---

(٣٧) ـ « وصف افريقيا واسبانيا » ـ منشورات دوزي وده غويجه لايده /١٨٦٦/ . ص /٢٥/ .

(٣٨) ـ ابو الفتح الاسكندري :

واقبــح بدهلـــك من بلدة	فكل امـريء حلهـا هالـك
كفاك دليـــلا اذن انهـــا	جحيم وخازنهـا مالـــك

سليمان بن عبد الملك . فبأمر من الخليفة ، قضى عامل « المدينة » ابو بكر بن محمد بن عمر بن حزم ، بجلد الشاعر « الاحوص » عقابا علـــى أهاجيـــة (وتشبيبه بالنســـاء الشريفـــات) ، ونفـــاه الى دهلك(٣٩) المسماة بـ «أرض الشوك» . وقد بقي الاحوص فيها طوال الفترة المتبقية من حكم سليمان (٩٦ ـ ٩٨) هـ (٧١٥ ـ ٧١٧) م . وابان حكم عمر بن عبد العزيز (٩٨ ـ ١٠١) هـ (٧١٧ ـ ٧٢٠) م ، الذي رفض استدعاءه رغم وساطة الانصار . ونقلا عن احد مؤرخي دمشق ، (٤٠) فان الخليفة (عمر بن عبد العزيز) أراد سنة/١٠٠/هـ أن ينفي يزيد بن المهلب (والقائد ابن القائد المشهور ، المهلب بن أبي صفرة ـ المترجم) الى دهلك ، بعد عزله . لكن عملا بنصيحة سلامة الخولاني ، اعاده الى سجن حلب(٤١) . اما الاحوص فلم ينل الاذن بمغادرة الجزيرة الا في عهد خلافة يزيد بن عبد الملك /١٠١ ـ ١٠٥/ هـ /٧٢٠ ـ ٧٢٤/ م ، وحل محله في المنفى عراق بن مالك ، احـــد فقهاء « المدينة » المشهورين ، الامر الذي جعل النـــاس يرددون ان سكان دهلك تمكنوا ان يحفظوا الشعر مع الاحوص والشريعة مـــع عـــراق(٤٢) .

---

(٣٩) ـ ابو الفرج الاصفهاني «كتاب الاغاني» بولاق /٢٠/ مجلدا /١٢٨٥/ هـ ، الجزء الرابـــع ص /٤٥ ـ ٤٨ ـ ٤٩/ .

(٤٠) ـ ذكره «كاتريمير» في كتابه : « مذكرات جغرافية وتاريخية عـــن مصر » باريس /١٨١١/مجلدان ، الجزء الثاني مذكرات عن صحراء عيذاب ص /١٧١/ .

(٤١) ـ ابن الاثير « الكامل » منشورات بولاق ، الجزء الخامس ص /٢٤/ . والطبري « الحوليات » تاريخ الامم والملوك ـ المترجم ، الجزء الثاني القسم الخامس ص /١٣٥١/ ، لايده /١٨٨٨/ .

(٤٢) ـ « كتاب الاغاني » الجزء الرابع ، ص /٥٠ـ٥٢ـ٥٣/ .

وتحت حكم العباسيين ، استمرت دهلك مركزا للنفي ، لكنها، بالاضافة الى مساوئها الطبيعية ، تعرضت ايضا لهجمات القراصنة الهنود ووجد المنفيون انفسهم اكثر من مرة ، معرضين للخطر . والخليفة المنصور (١٣٦ — ١٥٨ هـ) نفى الى دهلك ابناء عبد الجبار والي خراسان ، بعد أن مثل بالاب واعدمه ، فبقوا فيها الى أن شن الهنود غارة عليها . وقد تمكن البعض — ومنهم عبد الرحمن بن عبد الجبار — ان يفلت منهم (٤٣) .

وبعد هذه الغارة بقليل ، نالت دهلك ، أو حاولت ان تنال استقلالها . ويروي عبد الرحمن بن القاسم ، الذي يستشهد به المقريزي(٤٤) ان الخليفة هارون الرشيد / ١٧٠ — ١٩٣ / هـ / ٧٧٦ — ٨٠٨ / م . كتب الى مالك يسأله ان كان عليه ان يحارب قوم دهلك . فأجاب مالك : « لو ثاروا على استبداد الامر ما جازت محاربتهم ، أما لو تمردوا على الطاعة لجازت محاربتهم » .

وان كان ابن خرداذبه(٤٥) والهمداني(٤٦) يكتفيان بذكر دهلك فان احمد بن واضح اليعقوبي ، الذي انتهى مؤلفه سنة /٢٥٨/ هـ ، يعلمنا بأن هذه الجزيرة كانت احد المراكز التي كان العرب يتعاطون

---

(٤٣) — الطبري « الحوليات » — تاريخ الامم والملوك — الجزء الثالث ، القسم الاول لايده /١٨٧٩/ ، ص /١٣٥/ . وابن الاثير «الكامل» الجزء الخامس ص/٢٤٠/ .

(٤٤) — (خطط المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والاثار) — المترجم — ، بولاق — مجلدان — ، الجزء الثاني ص /٢٠٢/ ، وارنولد « كرستوماتيا — ارانيكا » هاله : Chrestomatlia Arabéea /١٨٥٣/ مجلدان . الجزء الاول ، ص /١٥٦/ .

(٤٥) — « كتاب المسالك والممالك »، طبعة غويجه ، لايده /١٨٨٩/ ص /١٤٢/.

(٤٦) « صفة جزيرة العرب » ، طبعة د.هـ. مولر ، لايده ، — مجلدان —، ١٨٨٤ — ١٨٩١ الجزء الاول ، ص ٤٧ و ٥٢ .

فيها التجارة مع الحبشة (٤٧) ونعرف من ابن حوقل (٤٨) انه أصبح لدهلك ، فيما بعد ، رئيس كان يدفع لعاهل اليمن خراجا من العبيد والعنب . وهذه الرواية قد اكدها ابن سعيد ، الذي استشهد به ابن خلدون . ونقلا عنه ، فان سلطان اليمن ابو الجيش بن زياد ، المتوفى سنة /٣٧١/هـ ، كان يملك من جملة مايملك من عائدات كبيرة تلك التي كانت تدرها مغاصات اللؤلؤ . وجزيرة دهلك التي كانت تدفع له خراجا . وكان ايضا على علاقات طيبة مع ملوك الحبشة(٤٩) .

ولا بد انه كان يعني ، بسلطان اليمن ، أمير زبيد ، اذ اننا نرى ان دهلك قد تداخلت أمورها بعد قليل بتاريخ هذه المدينة . فان احد عبيد مرجان الذي اصبح وصيا على عبد الله بن حسين ، آخر امراء سلالة بني زياد ، التي كانت تتقلد الملك في زبيد ، قد اعتق نفسه بعد موت هذا الملك (سنة /٤٠٧/ هـ /١٠١٦ — ١٠١٧/ م ، واستولى على زبيد سنة /٤١٢/ هـ (١٠٢١ — ١٠٢٢ م) وثبت الخلفاء العباسيون استيلاءه على العرش ، واتخذ لقب المؤيد ولقب ناصر الدين . وبعد موته سنة /٤٥٢/ هـ (١٠٦٠ — ١٠٦١) م ، نتيجة السم الذي دسته له احدى النسوة ، فان ابناءه ، سعيد وجياش وزاهر ومنصور(٥٠) الذين طردهم على بن صليح من زبيد، لجأوا الى دهلك ، فيما انتحر اكبرهم سنا ، مارق .

---

(٤٧) — « تاريخ » منشورات هوتسما ، لايده /١٨٨٣/ (مجلدان) الجزء الاول من /٢١٩/ .

(٤٨) — كتاب « Viae et regra, descriptio ditianis » طبعة غويجة ، لايده /١٨٧٣/ . ص /٢٠/ .

(٤٩) — (كتاب العبر) بولاق (٧ مجلدان) /١٢٨٤/ هـ الجزء الربع ص/٢١٢/.

(٥٠) — ابن خلدون (كتاب العبر) الجزء الرابع ص /٢١٦/ . لايذكر الا سعيدا وجياشا اللذين التجأ الى دهلك ، حيث درسا القرآن والآداب .

وبعد ذلك الحين ، عاد سعيد الاول من الحبشة على راس خمسة آلاف رجل ، وفاجأ سنة /٤٧٣/ هـ (١٠٨٠ - ١٠٨١ م) علي بن صليح وقتله . لكنه ، وقد هزم هو نفسه على يد المكرم بن علي ، التجأ مجددا الى دهلك مع بقية جيشه . واستمرت الحرب : فكان اللاجئون يقومون بهجمات على ساحل اليمن : صيفا ، عندما كان الحر يبعد اكثرية السكان الى الداخل . وقد تمكن سعيد الاول من استعادة زبيد والبقاء فيها ، لكنه اغتيل غدرا سنة /٤٨٢/ هـ (١٠٨٩ - ١٠٩٠ م) (٥١) . ومن النقوش الكتابية الضريحية التي تعود جزئيا الى ذلك العهد ، والتي تنم زخرفتها عن بعض تقدم على صعيد الفنون ، يستدل أن دهلك كانت في حال ازدهار . وقد نشر « هوتون » (٥٢) في اثر « سالت » (٥٣) ، كتابة احد هذه النقوش :

بسم الله الرحمن الرحيم

الله لا اله الا هو الحي(٥٤) القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه يعلم

---

(٥١) - راجع « بغية المستفيد في اخبار مدينة زبيد » . ترجمة يوهانس « بعنوان » (تاريخ اليمن) بون / ١٨١/ ص /١٢٨ - ١٣٢/ ، وابن خلدون « كتاب العبر » الجزء الرابع ص /١٥ - ٢١٧/ .

(٥٢) - « تحليل لكتابة نقش ضريحي عربي قديم وجد في دهلك الكبير قرب مصوع » ، لندن ، ١٨٣٠ .

(٥٣) - « رحلات واسفار الى الهند وسيلان والبحر الاحمر والحبشة ومصر » . اطلس ، اللوحة ٣١ . وسالت (اللوحة ٣٢) قد نشر أيضا كتابة أخرى جرى تسجيلها في دهلك . وقد شوهها تشويها كاملا جهل الرسام والحفار ، لم اتمكن ان استبين فيها ، على وجه التأكيد ، الا هذه المقاطع :

(٥٤) - همزة التعريف في هذه اللفظة لا وجود لها في نسخ « سالت » و « هوتون » ولكن ، لا مجال لاي غموض في قراءة هذه الجملة المأخوذة من القرآن ، سورة البقرة ، الآية /٢٥٦/ (الاصح /٢٥٥/ - المترجم) .

ما بين(٥٥) ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء(٥٦) وسع كرسيه(٥٧) السموات والارض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم . هذا قبر فاطمة بنت محمد الخياط توفيت يوم السبت لعشر خلون من شهر محرم لسنة تسع وثلاثين واربعمائة رحمها الله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما (٥٨) .

وبعد زهاء قرن ، كان يتقلد الملك في دهلك مالك بن شداد ، الذي تشكى منه الشاعر « أبو الفتح نصر الله بن عبد الله بن مخلوف بن علي بن عبد القوي بن قلاقس اللخمي الازهري الاسكندري » بقوله :

---

(٥٥) - (في النقش) زاد الحفار سنا على هذه الكلمة (قبل النون) وزاد الفا بعد دال الكلمة التالية (ايدايهم) .

(٥٦) - استثناء ، وضعت النقاط الثلاث فوق ال « ش » . وفي الحقيقة تحذف النقاط التشكيلية في الحفر .

(٥٧) - اتبعت هذه الكلمة بحرف (ا) من باب الزخرفة ، بدون ريب .

(٥٨) - الحروف كثيرة المشابهة باحرف النقش الكتابي رقم /١٨/ اللوحة رقم ٨) الذي نشرت كتابته ، مع السيد هوداس ، في كتابنا « مهمة علمية في تونس » (الجزء الاول ، الجزائر /١٨٨٢/) .

ملاحظة : بصدد زخرفة هذه الآية بمغامرة الخضر ، وموسى وعصفور الدوري ، راجع الابشيهي : « المستظرف في كل فن مستظرف » بولاق /١٢٩٢/ هـ ، (مجلدان) الجزء الاول ، الفصل الرابع ، ص /٢٧/ .

وبصدد تاريخ الوفاة : من الواضح ان ثمة خطأ اقترفه الحفار : فان شهر محرم /٤٣٩/ هـ يبدأ بيوم أحد واليوم العاشر يقع في يوم ثلاثاء لا في يوم سبت . فان قرأنا /٤٣٧/ هـ ، كما يسمح بذلك انتقاء النقاط التشكيلية (سع) - (الباء بدون نقطة) . تبقى العقدة قائمة ، اذ ان شهر محرم في تلك السنة (٤٣٧ هـ) يبدأ يوم جمعة واليوم العاشر يقع في يوم أحد (راجع ووستنفلد) ص /١٨/ .

واقبح بدهلك(٥٩) من بلدة
فكل امرىء حلها هالك

كفاك دليلا إذن انها
جحيم وخازنها مالك

فهذا الشاعر الذي ولد في الرابع من ربيع الثاني سنة /٥٣٢/ هـ (/٢٠/ كانون الاول – ديسمبر – /١١٣٧/ م) ، وتوفي في الثالث من شوال/٥٦٧/ هـ (/٢٩/ ايار–مايو /١١٧٢/م) في عيذاب ، كان قد قصد اليمن في آخر ايامه . وفي عدن ، مدح الوزير ابا الفرج ياسر بن ابي الندى بلال بن جرير ، وزير محمد ثم وزير ابي السعود اميري هذه المدينة . وبعدئذ ، ركب سفينة في عدن ، غير ان السفينة غرقت وهلكت مع حمولتها في جزيرة الناموس ، قرب دهلك ، يوم الجمعة في الخامس من ذي القعدة سنة /٥٦٣/ هـ (١١ آب – اغسطس – ١١٦٨ م) . ومما لا ريب فيه ان ابن قلاقس لم يلق عند مالك الترحيب الذي كان يتوقعه ، كما يشهد على ذلك هذا المقطع – من قصيدة لم تصلنا – وفيه يروي نكد طالعه . وقد عاد الى عدن خاوي الوفاض واقام عند الوزير ابي الفرج ياسر ، وتوفي بعد حين في عيذاب(٦٠) .

وهنا يأخذ مكانه نقش كتابي ضريحي وجده «روبل» (٦١) في دهلك ، ويعود تاريخه الى الخامس من شعبان سنة /٦٠٣/ هـ

---

(٥٩) – م ياقوت « معجم البلدان » الجزء الثالث ، ص /٦٣٤/ .

(٦٠) – ابن خلكان « وفيات الاعيان » بولاق ، (مجلدان) /١٢٩٩/ هـ الجزء الثاني ص /٢٠٧/ .

(٦١) – « رحلة دراسية الى الحبشة » ، الجزء الاول ، ص /٢٤٨ – ٢٤٩/ .

(٧ آذار – مارس – ١٢٠٧ م) ، ولسوء الحظ اهمل الرحالة الالماني نسخ اسم المتوفى واعطاء معلومات عن ذلك الضريح .

واذا كان المقريزي – علاوة على ما ورد ذكره اعلاه – قد اكتفى في كتابة « الخطط » بذكر دهلك بين الجزر الاربع المأهولة في بحر القلزم(٦٢) (اسم اطلقه العرب سابقا على البحر الاحمر – المترجم) ، فانه حفظ لنا ، في كتابه « السلوك لمعرفة دول الملوك » (٦٣) تفاصيل مهمة ، ففي سنة /٦٦٢/ هـ (١٢٦٣ – ١٢٦٤ م) وصل الى القاهرة نبأ يقول ان ملك جزيرة دهلك وملك سواكن (مدينة في السودان على البحر الاحمر – المترجم) يستوليان على اموال التجار الذين يموتون في مملكتيهما ، فوجه اليهما السلطان بيبرس توبيخات في هذا الشأن .

وفي ذلك العهد ، كانت ميول ملك دهلك تبدو مناوئة لليمن ، وربما اصبح في ذلك الحين تابعا لنجاشي الحبشة بفعل احتلال مصوع وابو الفداء الذي انتهى كتابه سنة /٧٢١/هـ (١٣٢١ – ١٣٢٢) م ، يقول ، استنادا الى ابن سعيد ، ان ملك دهلك (الذي لايسميه) كان حبشيا مسلما(٦٤) يسعى الى المحافظة على عرشه ويداري(٦٥) سلطان اليمن . وربما في سبيل الهدف نفسه بذل قصارى جهده ليكون على وفاق مع مصر ، التي كان يأمل بلا ريب ان يجد فيها سندا . وجاء في كتاب السلوك ان اربعة مبعوثين لملك دهلك وصلوا القاهرة سنة

---

(٦٢) – « الخطط » الجزء الاول ، ص /١٧/ .

(٦٣) – كاترمير « ابحاث تاريخية وجغرافية عن مصر » ، الجزء الثاني ، ص /٧١/ . والمقريزي « تاريخ السلاطين المماليك » باريس ولندن (مجلدان) /١٨٣٧/ ، الجزء الاول ، القسم الاول ، ص /٢٣١/ .

(٦٤) – ابو الفداء « تقويم البلدان » النص العربي ، نشر رينو وده سلان باريس /١٨٤٠/ص/٣٧٠/ .

(٦٥) – يداري – تصحيح غويار – بدلا من بداري .

/٧٩٥/ ه (١٣٩٢ــ ١٣٩٣ م) ومعهم هدية مؤلفة من عدة افيـال وزرافة وعبيد من الجنسين ، واشياء نفسية(٦٦) .

- ٣ -

ويسكت ، من بعد ، عن ذكر دهلك ، الى ان ظهر البرتغاليون في المحيط الهندي ، ووضعوا اسس امبراطورية انتقلت بالتتابع الى الهولنديين والى الانكليز . واكتشاف رأس الرجاء الصالح ، وانشاء أولى مستعمرات البرتغاليين في الهند ، وارساء علاقاتهم بالحبشة جعلتهم يواجهون المسلمين، الذين رأوا أنهم يشكلون في كل مكان عائقا في وجه فتوحاتهم . لذلك ، فان الفونسود البوكيرك ، أحد كبار الرجال الذين كانت البرتغال تعتد بهم بين نواب الملك في الهند ، أراد ، من اجل تعزيز سيطرة بلاده على البحار الشرقية ، ان يحتل المدن الثلاث القوية ، التي كان يعتبرها كأنها مفاتيح آسيا الجنوبية وهي : عدن ، وهرمز (جزيرة في الخليج العـربي تربط الخليج ببحـر عمان) ، والمالكية وفي سنة /١٥١٣/ وبعد ان اخفق في محاولة الاستيلاء على أولى المدن الثلاث ، ولج البحر الاحمر واستولى على جزيرة كمران(٦٧) وبما ان جميع السكان لم يتمكنوا من الهرب ، فقد قبض على رجل طاعن في السن من سلالة نبيلة ، كان يدعي انه كان شيخا على جزر

---

(٦٦) ـ كاترمير « ابحاث تاريخية وجغرافية عن مصر » ، الجزء الثاني ،ص١٧٢

(٦٧) ـ دامياوده غويس : كتاب
Chronica de Serenissima Senpor Rei D. Emanuei
/١٧٩٠/ ـ مجلدان ، الجزء الثالث ، المجلد الثاني ، الفصل /٤٤ ـ ص ـ ٢١٤/

دهلك ومصوع(٦٨) ، وتلك التي يصطاد فيها اللالي الصغيرة(٦٩) . وكان قد خلعه احد أبناء اخيه الذي كان هـو نفسه قد قتل أباه . وابن الاخ هذا كان قد وجد العون لدى عاهل عدن لقاء وعده بدفع الخراج . بيد ان هذا الاخير سرعان ما دبر اغتياله ، ونصب مكانه احد عبيده على رأس فيلق من الجيش .

وكان امتلاك دهلك يوفر لملك عدن دخلا عظيما ، بفضل صيد اللؤلؤ ، الذي كان مزدهرا في ذاك الوقت . فاكرم البوكيرك هـذا العجوز ، بعد ان تحقق من صدقه ، واطلق سراحه واستخلص منه

---

(٦٨) ـ الكتاب البرتغاليون يجمعون على القول ان رئيس دهلك كان سيدمصوع حيث كان يعيش بسلام مع الاحباش ، نظرا الى الكسب الكبير الذي كانت تشكله تجارة الحبشة . راجع على وجه خاص ، خوواوده باروس في كتابه « العقد » الثانـي ـ الجزء الثامن ، الفصل الاول ، ليشبونه ، ١٧٧٧ ، ص ٢٧٦ : « في مدينة مصوع هذه ، ثمةشيخ هو سيد البلاد ، وفي الوقت نفسه يمارس السلطة على دهلك ، التي سبق ان تحدثنا عنها كموضع يصطاد فيه اللؤلؤ . وهو أيضا سيد جزر مجاورة أخرى يعيش بسلام مع الاحباش ، شعب الكاهن جان ، وهذا بسبب المنفعة الكبيرة التـي يجنيها من المتاجرة معهم ، ونظرا الى ان جميع الكميات الكبرى من المؤن (المـواد الغذائية) التي يتغذى بها القسم الاكبر من اهالي هذا المضيق ، لاسيما على ساحـل الجزيرة العربية تخرج من مرفأ حرقيقو .

(٦٩) ـ ل.ده كاستدنيدا: « تاريخ الهند الشرقية » ،نقل الكتاب الى الايطالية الفونسواولاووا ـ البندقية ـ /١٥٧٨/ ، (مجلدان) ، الجزء الاول ص /٤٦١/ . و «تاريخ اكتشاف الهند وفتحها » الجزء الثالث ـ ليشبونه ـ /١٨٣٣/ . ص /٣٨٣/ .

معلومات كثيرة عن ساحل افريقيا ، وعن الامبراطورية الكاهن جان (٧٠) ولا شك في انه كان يفكر بالاستعانة بشيخ مصوع السابق ليحقق مقاصده على شواطىء البحر الاحمر · وبعد ان جال بعض الوقت في تلك الناحية من البحر ، عاد كمران وفي نيته ان يشتي فيها · ومنها ارسل قبطان سفينة سريعة ، هو خوواوغوميش، ليستكشف جزيرتي مصوع ودهلك ، وليتصل بالسكان ويجمع ، بطريقة سليمة ، جميع المعلومات الممكنة ويستولي اذا استطـــاع ، في طريق عودته ، على بعض الـ « جلبة » (المراكب التي تجوب البحر الاحمر ، حتى يحصل من بحارتها المسلمين على اخبار جدة والسويس · ولمساعدتـــه في هذه العملية ، الحق به ، دومينغو فرنانديز ، ومرشدا بحريا مغربيا يقوم بوظيفة مترجم (٧١) · وبعد فترة قصيرة ، عاد خوواوغوش من هذه المهمة : وكان قد وصل الى مياه دهلك ، وكاد يهلك في المضاحل التي تحيط بهذه الجزيرة · فاوصله قارب الى اليابسة · وهناك ، طلب شيخ البلاد ، وهو على الارجح تابع سلطان عدن ، من فارسين ان يسألاه : من هو ؟ وما يريد ؟ فاجاب بانـــه مبعوث حاكم الهند

---

(٧٠) ـ راجع رسالة البركيرك ـ ٤ ـ كانون الاول (ديسمبر) /١٥١٣/ ، في
Collecçuo de monumentos inctitos para ahistoria das conguistas dos Partuguezes
الجزء العاشر و «رسائل الفونسوده البوكيرك» ليشبوة ، ـ ١٨٨٦ / ، ص \ ٢٢٤ ـ ·
وخوواوده باروس : « العقـــد الثاني « الجزء الثـامن ، الفصـــل الثاني · ص / ٢٨١ ـ ٢٨٢ \ ·

(٧١) ـ خوواوده باروس : « العقد الثاني » الجزء الثـــامـــن ، الفصل الثاني ص \ ٢٨٥ \ ·

العام ، الموجود حاليا في كمران مع اسطول كبير ، لمعرفة هل المغاربة يرغبون في شراء البضائع مقابل الدفع باللآلىء . فأجاب الشيخ بأنه ليس في الجزيرة تجار بل محاربون · وعندها ، عاد خوواوغومش الى ظهر السفينة ، بعد ان طاف في الجزيرة وشاهد ارض الكاهن جان ، مثلما يشاهد المرء من ليشبونه الضفة الاخرى لنهر تاخه (أو تاجه) ، وعاد الى كمران بعد أن استولى على «جلبة » (٧٢) ·

وفي ذلك العهد ، كانت دهلك تشتمل على ـ ٦٠٠ ـ كوخ قشي موزعة على عدة قرى · فالقرية الرئيسية كانت تشتمل على ـ ٢٠٠ ـ كوخ ، وممثل الشيخ الذي كان يقيم فيها ، كان يرأس قوة مؤلفة من مائة راجل وعشرة فرسان أو ـ ١٢ ـ فارسا ·

---

(٧٢) ـ شروح الفرنسود البركيرك الكبير (ليشبونة ـ ١٧٨٧ ـ ، الجزء الرابع ، الفصل العاشر ، ص٥٢ ـ ٥٣) : بعد ايام ثلاثة ، وصل خوواو غومش ، وقدم لالفونسود البوكيرك ، تقريرا عن وصوله الى الجزيرة دهلك ، وعن كيفية تمكنه من النجاة من المضاحل قبالة الميناء . فقد ذهب الى اليابسة بقاربه ، وارسل له شيخ الجزيرة فارسين مسلحين لسؤال عما يريد، وقدجاوب بانه هنا بامر من الحاكم العام للهند ، المتوقف في كمران على راس اسطول كبير ، لمعرفة هل انهم يريدون ان يشتروا بعض البضائع لقاء اللالىء . وكان جواب الشيخ : لبس في هذه الارض تجار وانهم جميعا محاربون . وازاء هذا الجواب لم يصر على المضي في مساوماته مع المسلمين وعاد الى قاربه الذي دار به حول الجزيرة ، وشاهد ارض الكاهن جـان ، مثلما يشاهد المرءمن ليشبونة الضفة الاخرى لنهر تاجه . وكان من السهل عليه ان يصل اليها لكنه تمالك نفسه عن الذهاب ، لانه لم يكن قد تلقى اوامر محددة بهذا الشان وقد تواجه في البحر مع جلبة منهمكة بصيد اللؤلؤ ، فيها جمهاء وهو يغوص في المضاحل والشطوط الرملية ، حيث كان يستحيل على السفينة السريعة ان تصل كانون الاول ديسمبر ـ ١٥١٣ ، وغبار كوريا : خرافات من الهند ليشبونة ـ ١٨٥٨ وراجع ايضا : البوكيرك الرسائل الجزء الاول ، ص ـ ٢٢٠ ـ رسالة بتاريخ ٤ ـ ١٨٦٦ ـ ٤ مجلدات الجزء الثاني ، القسم الاول ، ص ـ ٣٤٨ ـ وما فيه: Historiarum indicarum libyi القرن السادس عشر ، ليون ـ ١٦٣٧ ـ المجلد الاول ، ص ـ ٢٢٠ ـ ·

وفي تلك السنة لم يفكر الفونسود البوكيرك في دفع عمليته الى ابعد ، فذهب الى الهند ، وفي السنة التالية (١٥١٦) استعاد الريس سليمان جزيرة كمران ، وشيد فيها قلعة ، وسنة ١٥١٧ م ٩٢٣ هـ حرك لوبو سواريز ، حاكم الهند ، مشاريع البوكيرك : فعلى راس اسطول ، ولج البحر الاحمر ، وتقدم حتى جدة ، ثم عاد الى كمران ليطرد منها المسلمين ، وفي الوقت نفسه ، ارسل سفينتين شراعيتين بقيادة فرينسيسكوده غا ولورنسوده كوشمه (٧٣) للاستعلام عن السفن الحربية التي كان قد فصلها عن اسطوله ، قبلا ، بقيادة خوواوده سيلفيرا . وكان عليها ان تستولي على قلاع مصوع وحرقيقو ، وان تتحقق من ان الارمني ، ماتيو ، كان حقا سفيرا لملك الحبشة . وكان على الجندي المتمرن ، انسارته فياغاس ، وعلى مسلم من غرناطة ، الحاج احمد العجمي ان يقوما بوظيفة الترجمة . ووصلت هاتان السفينتان السريعتان بعد مرورهما امام دهلك ، الى جزيرة مجاورة ، تدعى داروا Darua ، حيث وجدتا خوواو ده سيلفيرا ، الذي كان قد تقبل خضوع ملك دهلك . وكان هذا الامير في ذلك الحين ، في الخامسة والعشرين ، اسمر اللون ، يرتدي لباسا عربيا ، ويخفره خمسماية رجل - سيئي التسلح - بالنبال ، والتروس ، والاقواس ، وبعض السيوف . واولو الشأن منهم كانوا يمتطون الجمال أو الخيل . وفي أول أيار مايو ١٥١٧ /٩ ربيع الثاني ٩٢٣ هـ كان - ٤٠٠ - برتغالي قد تم انزالهم ، فازال حضورهم

---

(٧٣) - دامباوده غويش « تاريخ الملك دوم عما نونيل » القسم الرابع ، الفصل الثالث عشر ، الجزء الثاني ، ص ٤١٥ . واوزوريوس

De rebus Emanuelis Lusitaniae

كولونيا ١٦٧٤ ، الجزء ١١ ، ص ٣٤٤ .

أية رغبة في المقاومة (٧٤) . بيد ان سيلفيرا رغم اعتراضات الملك الودية ، لم يركن اليه ، وبعد شهر من الاقامة ، والاحتراس دائما ، قصد داروا ، عملا بنصيحة ماتيو ، ليكون في مأمن من عملية غدر . فبحسب اقوال ماتيو : « كان سيد دهلك رجلا شريرا جدا ، لايمكن الوثوق به » لاسيما ان بواعث كره البرتغاليين لم تكن تنقص هذا الامير : وفي الحقيقة ، كان خوواوده سيلفيرا قد استولى على « جلبتين » حمولتهما ضرورية له .

---

(٧٤) - في اليوم الاول من أيار مايو نزلنا - ٤٠٠ - رجل - الى اليابسة واستولينا عليها ، نظرا الى ان اللذين فوجئوا بظهورنا ، قد هربوا الى دالاتشيا . وكان بين الاسرى عربي عجوز من ابناء الجزيرة ، فاكرمناه وانعمنا عليه بملبس ومأكل وارسلناه الى دالاتشيا ليقول للملك اننا لم نأت للاساءة اليه ، وانما للتمون بالماء وبعض المنعشات ، نحن بحاجة اليها ، واننا على استعداد اذا اقتضى الامر ، لدفع ثمنها ، وسننتظر مجيء قائدنا الذي فرقتنا عنه الاقدار . وبعد هذه التطمينات ، ارسل الملك الينا مبعوثين سرعان ما عرفوا ماتيو ، سفير الملك داود ، فرحبوا به واكرموا وفادته ، مظهرين ارتياحا كبيرا لزيارته ، معلنين ان دالاتشيا وجزرها تحت تصرفنا ، فشكرهم قائدنا ، وطلب منهم ابلاغ الملك ان القائد الاعلى مدين له بذلك. وبالنظر الى صداقتهم للملك داوو لا يمكن ان يترقبوا مناسوى التكريم والفائدة . وطلب من المبعوثين ان يرسلوا الى الشاطىء مايرغبون في بيعه فندفع الثمن كاملا . وهكذا عادوا مرتاحين وممتنين . وفي اليوم التالي ، عادوا الينا مع هدايا من الحليب واللحم والعسل ، وابلغونا رغبة الملك في التحدث الى الكابيتانو، فيما سلموا السفير رسالة يعرب فيها الملك عن سروره بمجيئه . وبعد ثلاثة ايام ، وصل الملك ، وكان يخفره - ٥٠٠ - جندي مسلحين بالنبال والاقواس والتروس السيئة ، وببعض السيوف الشبيهة بسيوفنا ، واولو الشأن منهم كانوا يمتطون الجمال والخيول العربية السريعة وكان معهم عازفون على الات موسيقية يعزفون بحسب الاعراف المحلية . وكان الملك يرتدي ، وفقا للطريقة الاسلامية سترة حريرية مطرزة بالذهب: شاب في الخامسة والعشرين اسمر ، غامق اللون ، اسود الشعر ، شأن سائر مسلمي بلاد العرب السعيدة الممتدة حتى مكة . فنزلنا وقائدنا الى اليابسة بغير سلاح ، تدليلا على الصداقة . بيد اننا لم نبتعد كثيرا عن السفينة خوفا من أي غدر ، هو من عادات العرب (اندريا كورسالة : رسالة في الجزء الاول ، الطبعة الثالثة من رحلات واسفار البندقية - ١٥٦٣ - ص - ١٨٣ -) .

وبداءة ، اقترح الضباط ابقاء ماتيو في دهلك للتحقق منه والتثبت من ادعاءاته انه سفير . لكن الارمني رفض واعترض بشدة وعند ذلك ، توجهت سفينة سريعة من داروا DARUA الى دهلك لمتابعة هذا التحقيق . اما العربي الغرناطي ، الذي نزل الى اليابسة فقد انخدع بابناء دينه . وعاد الى السفينة مؤكدا ان في مقدورهم الطواف في الجزيرة بامان . وبالرغم من الراي المعارض الذي ابداه ماتيو ، وهو من يعرف حقيقة هؤلاء الناس ، فقد نزل من السفينة لورنسوده كوسمه ، ويورغده كالفان وابن دوارته ده كالفان السفير السابق في الحبشة ، واشخاص اخرون فاغتيلوا في كمين . ولقي الحاج احمد المصير نفسه . فقد قطع السكان رؤوس البرتغاليين الخمسة ، الذين هلكوا مع قائدهم . ومن ظلوا على قيد الحياة اختاروا المرشد البحري ، بيروفازده فيدا ، رئيسا ، وانطلقوا الى مصوع ، حيث لم يتجاسروا على النزول من السفينة ، ثم عادوا الى كمران ، التي انطلق منها لوبه سواريز الى مرفأ زيلع واحرقه (٧٥) .

وليس من المستبعد ان يكون ملك دهلك الذي نصب شركا للبرتغاليين ، هو السلطان احمد ، الوارد اسمه في نقشنا الكتابي ، وقد تكون عملية الاغتيال هذه ، هي التي جعلته يلقب نفسه بالمجاهد (المقاتل في سبيل الدين) .

---

(٧٥) ـ خوواوده باروس : العقد الثالث الجزء الاول ، الفصل الرابع ، ص ـ ٤٧ ـ ٥١ ـ . كاستا نهيدا تاريخ الهند الشرقية ترجمة اولوا ، الجزء الخامس الفصل الثالث عشر . وكوريا اساطير الهند الفصل العاشر ، الجزء الثاني ، القسم الثاني ، ص ـ ٤٩٩ ـ . واندريا كورساله : رسالة ص ـ ١٨٤ ـ ١٨٥ ـ .

ولم يكن ممكنا ان يبقى قتل المسيحيين المتعمد بدون عقاب . فبعد سنوات ثلاث (اي سنة ١٥٢٠) انطلق ديوغو لويس ده سكويدا خليفة لوبو سواريز ـ بصفته نائبا للملك في الهند ـ انطلق من غوا على رأس اسطول كبير لمعاقبة ملك دهلك ، ولانزال ماتيو الارمني والسفير رودريغوده ليما (الذي كان يرافقه) في الحبشة ، واخيرا للاستيلاء على مصوع لكي يشيد فيها قلعة ويؤمن سلامة الاتصالات بالنجاشي لبنا دنقل Lébna Déngél فوصل الاسطول في العاشر من نيسان ابريل ـ ١٥٢٠ ـ (٢ جمادي الاول ٩٢٧ هـ) بعد ان واجه المصاعب الى مصوع ، فوجدها مهجورة ، فالجلبات (المراكب) كانت قد نشرت فيها اشارة الخطر والسكان كانوا قد هربوا الى حرقيقو (دقنو) بحماية الاهالي الذين كانوا يملكون هذا الموقع . وبعد الاتفاق مع ربان السفينة الاولى من السفن السريعة ، عمد ديوغو لوبس الى انزال ماتيو ـ الذي ثبت صدقه مرة جديدة ـ والسفير رودريغوده ليما ، والفارس الذي اصبح مؤرخ البعثة (٧٦) .

واجرى نائب الملك البرتغالي ايضا مقابلة مع بحر نجاش قائد الاقاليم البحرية الحبشية وقد اضطر الى ارجاء بناء القلعة في مصوع ، بسبب غرق السفينة التي تحمل المدفعية والذخيرة ، لكنه استولى على هذه المدينة باسم ملك البرتغال ، وحول الجامع الى كنيسة

---

(٧٦) ـ خوواوده باروس : أسيا العقد الثالث والفارس :
Verdadeira informaçan des perras Preste Joaodas Fndias
ليشبونة ـ ١٨٨٩ ـ ، الفصلان الاول والثاني .
ومافي : Historiarun Imdicarum الجزء السادس ، ص ـ ٢٩٩ ـ ٢٠١ ـ

تحت شفاعة العذراء مريم (٧٧) . وإذ ذاك انطلق الى دهلك لكنه وجد العاصمة مهجورة شأن القرى الاخرى في الجزيرة .

وكان المسلمون قد توقعوا – وهذا امر سهل – زيارة البرتغاليين وهجومهم ، وفيما كان هؤلاء في مصوع ، غادر المسلمون الجزيرة غير تاركين لأعدائهم مغنما سوى بعض قطعان من الماعز والجمال التي توفر اللحم الطازج للمسيحيين النازلين من السفن . وبعد هدم بعض البيوت المبنية بالحجارة والكلس وحرق سائر الاكواخ القشية ، شد ديوغو الرحال الى شط العرب (٧٨) .

وسنة – ١٥٢٣ – ، ارسل د . دووراته ده مينزس نائب الملك في الهند ، اسطولا الى البحر الاحمر – مؤلفا من – ٨ – سفن شراعية و ٤ سفن سريعة – بقيادة اخيه د . لويس ده مينزس ،

---

(٧٧) – ارض هذه الجزيرة دهلك منخفضة ، وحولها جزر صغيرة ومضاحل . لكن الموقع ليس معرضا للامراض بقدر ما يتوقع ، بسبب الرياح التي تكسح الجزيرة والتي تهب كلها تقريبا من فوق سطح المياه . وثمة مدينة واحدة نبيلة المظهر ، تحمل اسم الجزيرة نفسه ، وبعض الضياع ، ولها مظهر القرى . وكلها كانت فارغة من سكانها ، لانها مجمعات بحرية يمكن لرجالنا الوصول اليها . وتخوفا من هذه الغارة كان السكان قد حملوا معهم كل شيء ، فلم نجد سوى بعض القطعان ، التي كانوا قد ذبحوها ، بما فيها الجمال ، التي يحب لحمها البعض . وبعد ان حكم ديوغو لويس بانه ليس هناك شيء يفعله في هده النواحي ، امر – تدليلا على ماكان سيفعله بالسكان فيما لو وجدهم – بهدم بعض البيوت ، التي تستحق الذكر ، المبنية بالحجر والكلس ، وبعد ذلك امر بحرق المدينة . خوواوده باروس : العقد الثالث الجزء الرابع ، الفصل الثالث ، ص – ٤٠٩ – . راجع دامياوده غويش : تاريخ الملك دوم عمانوئيل ، القسم الرابع الفصل – ٦٥ – ، الجزء الثاني ، ص ٥١٩ – ٥٢٧ – . واوزوريوس Derebus Emanuelis الجزء ١١ ، ص – ٣٧٤ – ٣٧٥ – . وكاستانهيدا : تاريخ الهند الشرقية القسم الثاني ، الجزء الخامس ، Historia di Pescobriments الجزء الخامس ، ص الفصول ٢٣ – ٢٨ . ١٦٥ – ١٨٠ . وكوريا : اساطير الهند الفصل السادس ، الجزء الثاني ، ص ٥٨٢ – ٨٨٥ .

(٧٨) – الفارس : الانباء الصحيحة الفصول – ٣ – ٥ – .

لاعادة السفير د . رودريفوده ليما من اثيوبيا . فانطلق الاسطول من غوا في ٢٠ كانون الثاني يناير – ١٥٢٣ – ، وجال في المضيق حتى ٢٠ نيسان ابريل : واقلع مباشرة من كمران الى مصوع ، وهي من ممتلكات ملك دهلك ، فاطلق السكان اقدامهم للريح عند دنوه . وفي حرقيقو نزل أربعة رجال الى اليابسة ، فاغتالهم نحو اربعين مسلما مقيمين في بيوت السكان ، وهم من رجال السلطان شماغلي وعندما لم يتمكن د . لويس ده مينزس من نقل السفير الذي تأخر في الحبشة ، اقلع وذهب يحرق ظفار ، قبل ان يعود الى الهند(٧٩) .

ويبدو ان دهلك قد تجاهلها ،في السنة التالية ايضا ،الاسطول الذي ارسله مجددا دووارته‌ده مينزس ، نائب الملك في الهند ، بقيادة هكتوردا سيلفيرا ،هذه المرة . فالسفن الثماني والسفينة الشراعية الصغيرة ذات الصاريين والطبقة الواحدة ، التي كانت تؤلف الاسطول ، انطلقت من غوا في اواخر كانون الثاني يناير سنة ١٥٢٤ ووصلت بعد شهرين الى مصوع . وهنا ، على ان السفير الذي اخلف بالموعد الذي حدده مينزس في العام الماضي ، قد عاد الى داخل الحبشة وهو يقيم مع حاشية كثيرة العدد ، في مكان يقع

---

(٧٩) – راجع خوواوده باروس : أسيا ، العقد الثالث الجزء السابع ، الفصل التاسع ، ص ٢١٠ . وف . داندرادا : تاريخ الملك دوم خواو الثالث القسم الاول ، الفصل الرابع والثلاثون ، ص ٣٦ – ٣٧ . وج . د . كوريا : اساطير الهند الجزء الثاني ، القسم الثاني ، ولويس ده كاستانهيدا : تاريخ الهند الشرقية ، الجزء الثاني ، القسم السادس ، الفصل العشرون ، ص ١٥٣ ص ١٦٤ – ١٦٥ . و Historiado Descobrimentc ، الجزء السادس ، الفصل العاشر ، ص ٤١ ، والفصل الثالث والثلاثون ، ص ٤٧ .

على مسيرة عشرين نهارا . واقتراب موعد الريح الموسمية كان يحول بين الاسطول وانتظار هذه المدة . وفي الايام الاولى من نيسان ابريل انطلق سيلفيرا الى عــدن (٨٠) .

لكن بعد عامين ، وقع صدام بين دهلك والبرتغاليين ،ولانعرف تفاصيل هذا النزاع . فان نائب الملك في الهند ، لوبا فازده سامبايو كان قد ارسل مجددا هكتوردا سيلفيرا ليعود بالسفير د . رودريغو دهليما . وفي اول نيسان ابريل يوم عيد الفصح ، ضرب بالمدافــع مدينة دهلك ، التي كان يحكمها بلاريب السلطان احمد ، وتقبــل خضوعها . ومنها ، ارسل الى السفير رسولا انفذه سلطان حرقيقو الى بحر النجاش . ولما وصل الى مصوع اخضعها ايضا . وقــد تعهدت المدينة بان تدفع سنويا جزية قدرها ـ ١٣٠٠ ـ بارداووس نحو ـ ٢٦٠٠ ـ فرنك فارسي . وتعهدت دهلك بان تدفع ٣٠٠٠ بارداووس (نحو ٦٠٠٠ فرنك) . فهذه المملكة غدت اذن خاضعة للبرتغاليين ، غير ان النتائج التي حصلت عليها البرتغال ، توقفت عند هذا الحد ، اذ لا يبدو ان سيلفيرا قد بنى في مصوع أو دهلك ، كنائس وقلاعا رغم ان رسالة النجاشي كانت تدعوه الى هذا البناء .

---

(٨٠) ـ خوواوده باروس : أسيا ، العقد الثالث ، الجزء العاشر ، الفصل الاول ، ص ٤٥٣ ـ ٤٦٢ . وف .د اندرادا تاريخ الملك دوم خواو الثالث ، القسم الاول ، الفصل ٤٧ . وج .د. كوريا : اساطير الهند ، الفصل الخامس عشر ، الجزء الثاني ، القسم الثاني ، ص ٧٨٠ ـ ٧٨٥ .

وبعد ان استقبل على متن سفينته مجموع موظفي السفارة، وتبادل الهدايا مع الاحباش ، انطلق القائد البرتغالي الى الهند في ٢٦ نيسان ابريل ١٥٢٦ وتبعا لالفارس ، فان التاريــخ هــو ٢٥ نيســان (٨١) .

وفي غضون اربعة عشر عاما ، كان على السلطان احمد ، علــى الارجح ، ان يقضي حياته مغمورا خاضعا للبرتغاليين الــى حيــن موته ،سنة ـ ٩٤٦ ـ هـ ـ ١٥٤٠ م ـ ، كما يتضح لنا من النقش الكتابي . الا انه تولى حكم دخنو حرقيقو بدلا من الشريف نور(٨٢)، بتكليف من احمد قرەنوح فابح الحبشة المعروف .

ويجوز الظن ان جلوس امير جديد على العرش اعطى الاشارة الى اعمال قرصنة ، قام بها سكان الجزيرة ، وهذا الامر ظاهر من الخوف الذي ابدوه لدى وصول الاسطول البرتغالي ، الذي قام سنة / ١٥٤١ / ، بعمليات حربية ، وتحركات عسكرية في البحر

---

(٨١) ـ ديوغوده كوو : أسيا ، العقد الرابع الفصل ٤ ـ ٥ منشــورات ليشبونة ١٧٧٨ الجزء العاشر ، ص ٢٤ ـ ٣٦ . وكاستانهيدا : تاريخ الهندالشرقية الجزء السابع ، الفصل الخامس ، ص ٢٦١ ـ ٢٦٢ . ومافي : Historian indicarum libri xvi الجزء الثامن ص ٣٦٢ ـ ٣٦٣ . و Historia do Descobrimento الجزء السابع ، الفصــل الخامس ص ١٠ ـ ١٣ والفارس : الانباء الصحيحة ، الفصل ١٤٠ ، ص ١٧٠ ـ ١٧٨ ـ وكوريا : اساطير الهند الجزء الثالث ، القسم الاول ، و اسطورة لوبوفارده سامبايو الفصــل الثـانـي .

(٨٢) ـ فتوح الحبشة ص ٩٧ : وولى فيها زخنو السلطان أحمد بن اسماعيل الدهلكي .

الاحمر . وكان د . استيفان ده غاما ، حاكم الهند العام ، يقود هذا الاسطول . وكان هـدفه انزال فيلق الى الحبشة بقيادة شقيقه كريستوف ده غاما ليغيث النجاشي الذي كان على وشك السقوط تحت ضربات جرانج والمسلمين . وكان عليه ايضا ان يحرق مرافىء البحر الاحمر حتى السويس ، التي كان القرصان ينطلقون منها لتهديد السفن المسيحية . وكان يقصد من وراء القضاء على البحرية الاسلامية في هذه الناحية ، الحيلولة دون توسع الاتراك الذين كانوا يهددون مباشرة ، او بواسطة حلفائهم ، شواطىء الجزيرة العربية الجنوبية وافريقيا ، وحتى الممتلكات البرتغالية في الهند ، مثلما حدث في الحصار الاول لجزيرة ديو (في بحر عمان — المترجم) سنة ١٥٣٨ ، ومثلما حدث في الحصار الثاني سنة — ١٥٤٦ — . فقد انطلق الاسطول البرتغالي المؤلف من /٤٦/ سفينة و /٣/ مراكب خفيفة لنقل الاحمال من غوا في ٣١ كانون الاول (ديسمبر) / ١٥٤٠ / ، بحسب رواية « كوريا » ، وفي اول كانون الثاني (يناير) / ١٥٤١/ ، بحسب رواية اندرادو كوتو وج . ده كاستر الذي كان في عداد الحملة . وبعد ان ارسى في سقطرة (جزيرة تقع شرقي خليج عدن — المترجم) ، وفقد عددا من الرجال مع د . فرناوده ليما في الجزر الصغيرة المجاورة لدهلك ، وصل الى هذه المدينة الاخيرة ، التي وجدها مهجورة ، مع وجود آثار حديثة لبشر وماشيه . وبعد ان تمون بمياه الصهاريج اتجه غاما نحو مصوع (١٥ شباط — فبراير — ١٥٤١) التي هرب مليكها — وهو في الوقت نفسه مليك دهلك — مسافة فرسخ (٤/ كيلومترات — المترجم) في داخل البلاد . وفتح باب المفاوضات ، وطلب نائب الملك البرتغالي عبر فاسكو داكونها ، عشرين الف كسارافيم (دينار اشرفي) ومرشدين بحريين ليوصلوه الى السويس ، مهددا في حال الرفض ،

بتدمير المدينة فكان جواب خليفة (السلطان) احمد ان مصوع هي تحت تصرفه ، لكنه شخصيا لا يستطيع لا دفع المبلغ المطلوب ولا تقديم مرشدين بحريين من هنا الى السويس ، بل الى مدينة سواكن فقط ، وغاما ، الذين كان مديرو (محافظو) مصوع قد اطلعوه على حقيقة العلاقات القائمة بين ملك مدينة سواكن ، ومسلمي الهند والاتراك الذين كانوا يمدونه بالاسلحة النارية ، قبل هـذا العرض ، والبحر (٨٣) .

ولن استرسل في سوق التواريخ : فقد خضعت دهلك ، وخضعت مصوع في الوقت نفسه ، للاتراك على يد الباشا ازدمير الذي كان قد انتهى من السيطرة على اليمن (٨٤) حديثا . واصبح

---

(٨٣) — ج . ده كاسترو :
Roteiro da que Fizeramos Porduez do Rosco
ص /٥٥—٥٦—٥٩—٢٨٥—٢٨٦ ، و ٢٨٨/ . وديوغو دوكوتو : « آسيا ، العقد الخامس » ، الجزء السابع ، الفصل الخامس ، ص /١١٣ — ١١٩/ .

وكوريا: « اساطير الهند » ، الجزء الرابع ، القسم الاول و « اسطورة د . استيفان ده غاما » ، الفصل السابع عشر ، ص /١٦١ — ١٦٤/ ، والفصول /٢٠ — ٢٣/ . و « آسيا البرتغالية » عمانوئيل ده فاريا اي سوازا — ليشبونة (٣ مجلدات) /١٦٧٤/ ، الجزء الثاني ، القسم الاول ، الفصل الثالث ، ص /٣٢—٣٣/ .

واندرادا بج « تاريخ الملك دوم خواو الثالث » ، القسم الثلث ، الفصول /٧٦—٧٩/ .

(٨٤) — بصدد هذا الاسم ، راجع م.ف.م استيفس بيرابر :«تاريخ ميناس»، ليشبونة /١٨٨٨/ ، ص /٧٥/ ، الحاشية /١٣٠/ . وثمة تفاصيل عن تاريخ مصوع منذ تلك الرحلة حتى ايامنا ، في المذكرات التي اتينا على ذكرها ، وهي لـ : (م.ف.م استيفس بيريرا) بعنوان « البرتغاليون في مصوع » ، وفي كتيب ماريوس ساينيانو : « الحبشة في النصف الثاني من القرن السادس عشر ، بحسب الحوليات الاثيوبية غير المنشورة » بوخارست /١٨٩٢/ ص /٣٠—٣٥/ و /٣٧—٣٨/ و /٤٩—٥١/ .

تاريخ دهلك الاكثر غموضا منه في غضون المراحل السابقة . فهذه الاخيرة يمكن – على الاقل – القاء اضواء عليها بدراسة نقوش كتابية دل عليها المسافرون ، لكنها لما كانت ترتقي الى عهد ازدهار دهلك ، فمن المرجح ان يقدم زمن انحطاطها عونا مماثلا لسد ثغرات تاريخ لم يبق ، على كل حال ، يسترعي الاهتمام ، بدءا من منتصف القرن السادس عشر .

• • •

بينما ينتقل الصراع اليوم الى منطقة البحر الاحمر باعتباره من اكثر الممرات المائية اهمية وحيوية ، يمثل ارخبيل دهلك أعظم المواقع الاستراتيجية على هذا الممر ، وكانت ان لعبت الصدفة المحضة في اكتشاف تاريخ الارخبيل ابان فترة الاحتلال البرتغالي وسيطرته حينما عثر استاذ الدراسات الشرقية في جامعة الجزائر (رينيه باسي) ، فاثار اهتمامه واخذ ينقب عن تاريخ

هذه الجزر التي يزيد عددها عن المائة . ان هذا النقش الكتابي الضريحي الذي يعود تاريخه الى عام ١٥٤٠ ، قد كشف عن مرحلة في تاريخ شعب شقيق لم تحظ به المكتبة العربية الا الآن .

• • •

اننا اذ نقدم للقارىء ترجمة لما كتبه (رينيه باسيه) نأمل أن يكون في ذلك فائدة للقارىء العربي ودافعا لمزيد من التنقيب والبحث في تاريخ هذا القطر الذي يحارب ابناؤ. دفاعا عن عروبة البحر الاحمر وامن وسيادة الامة العربية على سواحلها .

■ اريتريا في سطور ■

تقع اريتريا على الساحل الغربي للبحر الاحمر المقابل لشبه جزيرة العرب ويحدها من الغرب والشمال السودان ومن الجنوب اثيوبيا ومن الجنوب الشرقي اقليم جيبوتي. ويطل لسانها الجنوبي على باب المندب وتشمل ١٢٦ جزيرة أهمها ارخبيل دهلك الغني بالبترول . ومساحتها ١٢٠ الف كيلو متر مربع . وتنقسم تضاريسها الى هضبة وسطى وشمالية تمتد من أقصى شمالها الى اقصى جنوبها ويتراوح ارتفاعها بين ٢٠٠٠ الى ١٠٠٠٠ قدم فوق سطح البحر وتتمتع بجو ربيعي ممطر . ومن منخفضات البحر الاحمر الشرقية الحارة الجافة ومنخفضات بركة والقاش وسيتيت المطرة التي تغطي الغابات جزء كبيرا منها . ويخترقها نهرا القاش وسيتيت الموسميان ونهر السيتيت (أو عطبرة) الذي يشكل الحدود مع اثيوبيا .

وتتراوح نسبة الامطار بين ٥ الى ٥٠ بوصة سنويا حسب المناطق مثل منطقة دنكاليا الصحراوية ومنطقة بحرى الواقعة بين اسمرا العاصمة ومصوع الميناء الرئيسي . ويشتغل سكان اريتريا بالزراعة والرعي ونسبة سكان الريف الى المدن عالية . وتصدر اريتريا كميات كبيرة من الموز والفواكه المدارية والخضروات الى السعودية وايطاليا بصفة اساسية ، كما تصدر كميات كبيرة من الملح الى اليابان . وتمتلك نحو ٩ ملايين رأس من الابقار والاغنام والجمال وتصدر كميات كبيرة من اللحوم المعلبة وغير المعلبة .

وتمتلك اريتريا ثروات معدنية كبيرة وبخاصة النحاس الذي كانت تستخرجه شركة يابانية وكان مقدرا أن يبلغ انتاجه السنوي ٧٥٠ مليون دولار في عام ١٩٨٠ وكذلك الحديد والذهب والنيكل والمنجنيز والبوتاس والمرمر الخ . ولكن الانتاج توقف نتيجة انعدام الاستقرار السياسي وحرب التحرير الدائرة ضد الاحتلال الاثيوبي .

ويبلغ طول الطرق المعبدة ٣١٥٠ كيلو متر مربع وهي تربط كل المدن الاساسية الاريترية وبعض القرى والمراكز الزراعية . أما سكة الحديد فتربط مصوع باسمرا وكرن واغرنات ويبلغ طولها نحو ٣٠٠ كيلو مترا .

ويتراوح عدد سكان اريتريا بين مليونين ونصف المليون الى ثلاثة ونصف المليون . ويتالفون من مسلمين يسكنون في الاغلبية السهول الشرقية والغربية ومسيحيون على المذهب القبطي الارذوذكسي ويسكنون في الهضبة المرتفعة .

وعرفت الشواطىء الاريترية في العصور الوسطى ببلاد الطراز الاسلامي او باضع وكانت بها خمسة ممالك للبجة ، كما عرفت هضبتها باقليم مدرى بحري (أي لاد الشاطيء) وعرف حاكمها (يبحر نقاش) أي (ملك البحر) . وعرفت ميناؤها عدوليس في التاريخ اليوناني والروماني وهي التي بناها بطليموس الثاني عندما كان حاكما لمصر في القرن الثالث قبل الميلاد . ولا تزال اطلالها قائمة .

وفي عام ١٥٥٧ احتل الاتراك مصوع ، ثم بسطوا نفوذهم على ساحل البحر الاحمر الغربي بعد صراع مسلح مع البرتغاليين الذين سبقوهم في احتلال مصوع في عام ١٥٢٠ اثر وصول بعثة دي ليما .

ودام هذا السلطان الاسمي التركي على الشواطيء لحين ١٨٦٥ عندما احالها سلطان تركيا الى الخديوية المصرية . وانتهي الحكم المصري في عام ١٨٨٥ عندما احتلت ايطاليا مصوع بتشجيع من بريطانيا لماكسة النفوذ الفرنسي في البحر الاحمر وفق اتفاقية مصرية ـ ايطالية شكليا بعد أن بدأ الاحتلال الايطالي بابتياع قطعة أرض في عصب من السلطان ابراهيم بن أحمد في عام ١٨٦٩ وانتهى باعلان اسم مستعمرة ايطاليا في ١ ـ ١ ـ ١٨٩٠ اثر التوسع الايطالي بالغزو والاتفاقيات مع الحكام المحليين ومع امبراطور اثيوبيا والادارة البريطانية التي كانت تحكم السودان لتخطيط الحدود وبعد مقاومات وطنية متفرقة دامت ١٥ عاما .

وعند اندحار ايطاليا في الحرب العالمية الثانية دخلت قوات الحلفاء اريتريا في عام ١٩٤١ وظلت تحت اشراف الادارة البريطانية باسم الحلفاء مع زميلتيها ليبيا والصومال حتى أصدرت الجمعية العامة للامم المتحدة في ١٩٥٠/١٢/٢ قرار الاتحاد الفدرالي الذي قضى ربط اريتريا في اتحاد فدرالي مع اثيوبيا مع تمتعها بحكم ذاتي واسع النطاق . ولم يكن هذا القرار مطلب الشعب الاريتري وانما جاء نتيجة مؤامرات دولية حرمت الشعب الاريتري من حقه في تقرير المصير . وقد الغت اثيوبيا هذا القرار من طرف واحد بطريقة غير قانونية في ١٤ ـ ١١ ـ ١٩٦٢ ، الامر الذي فجر الثورة الشعبية التحريرية الاريترية التي تقودها جبهة التحرير الاريترية منذ ١٥ عاما محررة اكثر من ٨٠٪ من المساحة الاريترية ومتطلعة الى الاستقلال الوطني الكامل من الاحتلال الاثيوبي .

الحالة الاقتصادية

عدد سكان اريتريا ثلاثةملايين تقريبا، مساحتها (١٢٠٫٠٠٠) مئة وعشرون الف كيلو متر مربع . طول شاطئها (١٠٠٠) الف كيلو متر . اكتشف فيها البترول والغاز الطبيعي في جزر (دهلك) منذ

سنوات . واستثمرت مناجم البوتاس في (دنكاليا) بالجنوب منذ اعوام كما اكتشفت فيها اليورانيوم عام (١٩٧٢) والنحاس قرب (اسمرا) عام (١٩٥٢) . وتبلغ ثروتها الحيوانية عشرة ملايين راس ، بالاضافة لكون شواطئها مصدرا غنيا لصيد الاسماك . اما الثروة الزراعية فلم تتم بالوسائل الحديثة الا في نطاق محدود . كما ان الصناعة لا تزال في المراحل البدائية بسبب النظام الاستعماري الاستغلالي المتخلف .

القواعد الاجنبية :

ان لشواطيء ارتيريا موقعا استراتيجيا بالغ الاهمية في شرقي افريقيا تعتبره امريكا وحلفاؤها اساسا في سياستهم الاستعمارية (جنوب السويس) لتهديد شعوب المنطقة المحيطة كلها . لذلك اقامت امريكا قواعدها في (كانيو) و (كيربلاي) و - (مصوع) - كما اقامت (اسرائيل) بعض قواعد الرادار بالاضافة لقاعدة تدريب المغاوير في الوسط .

الجبهة :

وهكذا قامت (جبهة التحرير الارتيرية) لتنظيم الجماهير وقيادتها ضد الوضع الاستعماري . وقد ذابت فيها جميع المنظمات السياسية السابقة وكان اخرها واهمها (حركة تحرير ارتيريا) التي حلت نفسها وبدات الجبهة الكفاح المسلح في (١-٩-١٩٦١) ولا تزال (قوات التحرير الشعبية) وقوات (المجلس الثوري) تواجه العدو بالسلاح كل يوم .

الوسائل والاهداف :

ان الشعب الارتيري قد حاول عبثا المحافظة على استقلاله وكيانه بجميع الطرق السلمية . لذلك بدأ (حرب التحرير

الشعبية) بقيادة الجبهة . وهو يقاتل لتحرير بلاده من الاحتلال الاثيوبي والقواعد الامريكية والاسرائيلية وسائر مظاهر النفوذ الاجنبي الاقتصادي والسياسي والثقافي . وهو يناضل في سبيل (تقرير المصير) والاستقلال ، واقامة دولة شعبية ديموقراطية .

الاصدقاء :

أما الاصدقاء فهم شعوب : (أرومو) و (التجراي) و (الصومال) و (الدناكل) (والطليعة التقدمية من (الامهرة) وجميع شعوب وقوميات الامبراطورية نفسها ، بالاضافة الى سائر الدول والحركات الثورية والتقدمية في العالم . ولا سيما في فلسطين وافريقيا وباقي العالم الثالث .

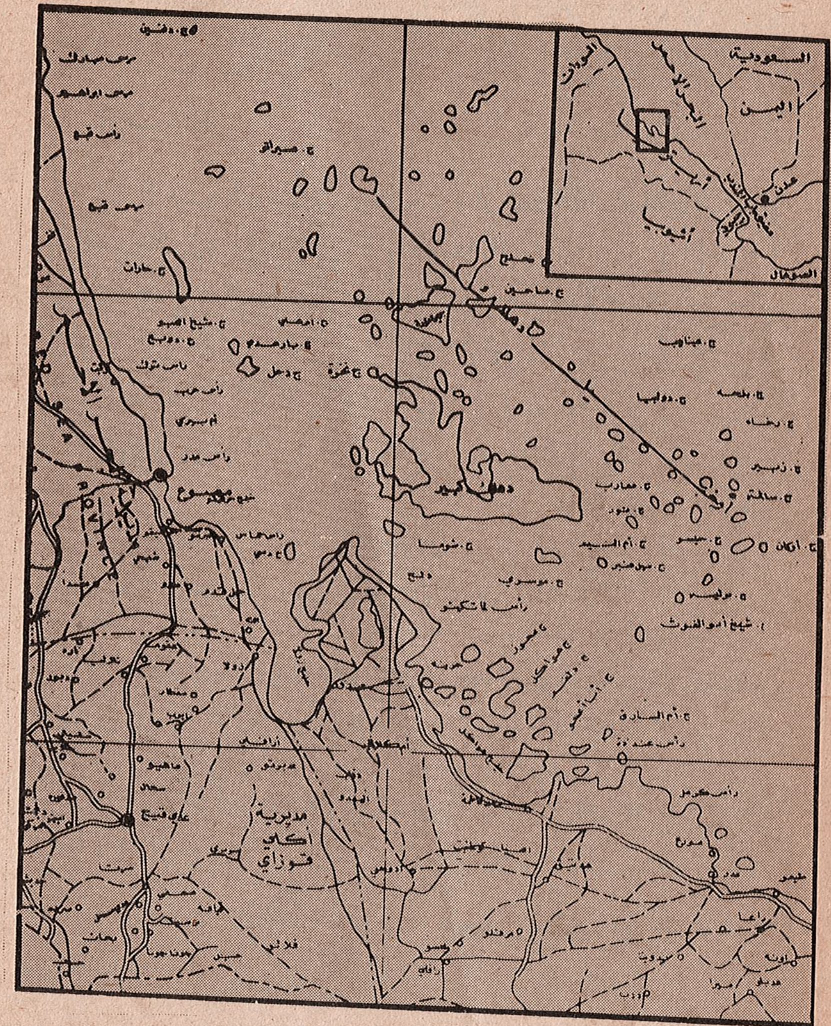
المفاوضات :

ان الجبهة تقود كفاح الشعب في سبيل أهدافه الكبرى . لكنها ترحب بالحل السلمي ضمن الشروط التالية :

أ - اعتراف اثيوبيا بحق تقرير المصير والاستقلال للشعب الارتيري .

ب - الاعتراف بجبهة التحرير الارتيرية ، بفرعيها ، ممثلا شرعيا وحيدا! للشعب .

ج - حصر المفاوضات بقضية الجلاء والمصالح المشتركة بعده .


السعودية
اليمن
السودان
عدن
الصومال
مديرية
اكلي
قوزاي
عادي قيح
دهلك الكبير
ع. عباوب